المبحث الثالث

تطبيقات على الإمامة الأباضية

الفصل الأول: الإمامة الأباضية والخلافة الراشدة

الفصل الثانى: الإمامة الأباضية في المغرب العربى

الفصل الأول

الإمامة الأباضية والخلافة الراشدة

أولاً: موقف الأباضية من الخلافة الراشدة

رأى الأباضية أن مصطلح الإمامة العامة فى الإسلام يطلق على إمامة النبى صلى الله عليه وسلم، وكذلك إمامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما. فكان النبى محمد صلى الله عليه وسلم هو الإمام الأول، وكانت صفاته وأفعاله وأخلاقة هى صفات الإمام وخلقه، كما كانت إمامة أبى بكر وعمر فى سيرتهما وسيرهما على هدى الإمام الأول فى إرساء دعائم العدل والمساواة وقتال المشركين والمرتدين وإرسال بعوث الجهاد لنشر الدين ومبادئه فى مختلف أرجاء المعمورة.

أما إمامة عثمان وعلى ومن جاء بعدهما فكانت إمامة خاصة افترق الناس حولها، واختلفت الآراء فى صحتها وكانت الإمامة بعدهما خاصة بالرأى والمذهب، أما إمامة أبى بكر وعمر فلم تكن إمامة مذهبية ولم يختلف فيها. ولذلك فقد حاول كل إمام أن يسترشد بالإمام الأول وهو النبى صلى الله عليه وسلم فى جعل الدين والتوحيد والعدل والجهاد والخلق أركان مبادئه وأهداف سيرته.

ومنذ المراحل الأولى لظهور الإسلام كان أهل عمان مقرين للخلافة الراشدة، وكانت عمان ثغراً هاماً من ثغور الدولة الإسلامية تنطلق منه الجيوش نحو بلاد فارس، كما كان الأمر بالنسبة لثغور العراق وغيره. وتسجل كتب السيرة أن عمر بن الخطاب كتب إلى واليه على عمان وهو عثمان بن أبى العاص أن يقطع البحر إلى بلاد فارس، فنادى عثمان فى الناس فانتدب إليه ثلاثة آلاف أو نحو ذلك

من الأزد وغيرهم من أهل عمان، فعبروا البحر إلى جزيرة كاوان والتحموا مع القائد الفارسى (شهراك) فهزموه وقتل شهراك.

وفى عصر الخلافة الراشدة كانت البصرة والكوفة مركزاً لتجمع العلماء والفقهاء من الصحابة والتابعين الذين حملوا لواء المعارضة الدينية ضد الولاة والخلفاء الذين خرجوا عن مبادئ وأصول العدالة والمساواة. ويرى البعض أن تنوع واختلاف طرق اختيار الأئمة أو الخلفاء بعد النبى (صلى الله عليه وسلم) كان فى مقدمة أسباب الاختلاف حول الإمامة وشروطها، فكانت ولاية أبى بكر عن طريق البيعة والاختيار المباشر من كبار الصحابة فى سقيفة بنى ساعدة ثم المبايعة العامة من المسلمين على ذلك، وقد احتج المبايعون لأبى بكر بصفاته وسماحته وقربه من الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما استدلوا بأمر النبى له فى مرضه أن يؤم المسلمين فى الصلاة، بوصفها إشارة إلى إمامته العامة للمسلمين، وقالوا لقد رضيه صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا.؟

وقبل المبايعة حسم أبو بكر الرأى بحديث النبى صلى الله عليه وسلم قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم، ورد زعيم الأنصار عليه بقوله: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء، وانتهى الأمر عندئذٍ بين الصحابة من المهاجرين والأنصار بمبايعة أبى بكر رضى الله عنه وكانت ولاية عمر بن الخطاب بالتوصية والعهد من أبى بكر له، فاختير بالإجماع إماماً وخليفة للمسلمين ثم أخذت له البيعة من عامة المسلمين.

وكانت ولاية عثمان أيضاً بالاختيار من متعدد أى من الستة الذين رشحهم عمر قبل وفاته لاختيار الخليفة منهم، فاختار الستة عثمان وبايعوه. وكانت المبايعة بعد العديد من المشاورات والتداول وتعدد الآراء فى شروط الإمامة ووجوبها.[1] وكانت هذه الآراء وراء

[1] - يحيى محمد بكوش: مدرسة جابر بن زيد وأثرها فى الفقه الإسلامى. سلطنة عمان، ١٩٨٨ صـ ٢-٩

كون الإمامة على قائمة المسائل السياسية التى تحولت على يد الفقهاء وعلماء الكلام وأصحاب الفرق إلى مسألة عقائدية أصولية ومن أهم قضايا الخلاف المذهبى بين الفرق والمذاهب حتى الآن.[1]

ويرى الأباضية رأى أنصار المدينة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقرر نظاماً معيناً ولم يضع شروطاً لمن يكون إماماً أو خليفة من بعده، وبالتالى فإن الخلافة أمر تشاورى وأن التشاور لا يتعارض مع القول بأن العرب لا تدين إلا لقريش، كما فى الحديث ورأى أبى بكر وعمر بن الخطاب، وكذلك من رأى أن الإمامة لبنى هاشم وأحقية على بن أبى طالب بالإمامة لمواقفه الشجاعة وأسبقيته للإسلام وأفضليته فى العلم والورع والتقوى.

ويرى الأباضية أن التزام الشورى والعدل كان وراء هدوء الخلافات مدة إمامة أبى بكر وعمر وكذلك فترة ولاية عثمان الأولى المقدرة بست سنوات والذى سار فيها على منهج الخلفاء فى إخماد الفتن ونشر العدل والجهاد، ثم عادت هذه الفتن والخلافات فى فترة حكم عثمان الأخيرة أى الست سنوات الأخيرة من حكمه وبعد مقتله حيث ارتفعت حدة الخلاف حول شرعية الإمامة وحكم قاتل المسلم ومرتكب الكبيرة على العموم.

وعندما قبل على بن أبى طالب التحكيم واشتد الصراع بين على ومعاوية، كان موقف المحكمة الأول ومنهم الأباضية صريحاً فى شأن الإمامة وقولهم أن الإمام على قد تخلى عن البيعة فبايع الأباضية والخوارج الإمام عبد الله بن وهب الراسبى بعد المشاورة بينهم. وهكذا كان موقف الأباضية واضحاً منذ لحظة انتقال الحكم إلى معاوية بن أبى سفيان رأس الدولة الأموية، فمن يومها رفض العمانيون الاعتراف بخلافة معاوية وأكدوا نزوعهم إلى الاستقلال فلم يرسلوا الزكاة إلى بيت المال، وإنما استمروا فى جمعها ودفعها إلى

---

[1] - عبد الكريم الشهرستانى: الملل والنحل. جـ١، صـ٢١

فقراء ومساكين عمان، ومن ناحية أخرى حاول معاوية فرض سلطته على عمان دون جدوى وقد استمر هذا الوضع حتى خلافة عبد الملك بن مروان حيث كثرت الثورات والحركات المناهضة للحكم الأموى فى العراق ومنطقة الخليج كحركات الشيعة والخوارج وثورة ابن الزبير والتى شكلت جميعها حاجزاً بين مناطق لدولة الأموية ونفوذها وبين عمان، وهكذا تمتعت عمان بنوع من الاستقلال المحلى طيلة العهد الراشدى.[1]

وقد عبرت الإمامة الأباضية في عمان عن موقفها عندما انتقلت الولاية العامة إلى معاوية بن أبى سفيان، فرفضوا الاعتراف بخلافة معاوية وفى نفس الوقت رفضوا حكم الخوارج وثاروا عليه خاصة عندما تمكن الخوارج النجدات بزعامة نجدة بن عامر الحنفى بسط نفوذهم على شرق الجزيرة العربية وإقليم البحرين وأرسلوا جيشاً بقيادة عطية بن الأسود الحنفى فاستولى عليها عطية وقتل حاكمها عباد الجلندى وأقام بها شهراً ثم أناب عنه حين مغادرتها أبو القاسم، فثار عليه العمانيون وقتلوه وأعادوا آل الجلندى للحكم.

وفى هذه الفترة انتشرت الأفكار والمبادئ الأباضية التى أرساها الإمام جابر بن زيد فى عمان والبصرة، ونقلها أبو بلال مرداس بن أدية التميمى إلى سائر بلاد عمان وهى الآراء التى عبرت عن موقف الأباضية من الإمامة الراشدة وهى:

- أن إمامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما قد صحت وتحققت بإجماع الصحابة الذين لا يجمعون على ضلال، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استخلف فى الصلاة أبى بكر بالحديث الثابت: مروا أبا بكر يصلى بالناس، فدل ذلك على صحة خلافته للرسول بعد وفاته، وأن إمامة أبى بكر هى الصورة المثلى لتحقيق الإمامة العامة لأن إمامته تمت باختيار والبيعة وأن إمامته رضى الله عنه هى إمامة

[1] - محمد رشيد العقيلى: الأباضية فى عمان وعلاقتها مع الدولة العباسية. سلطنة عمان. وزارة التراث القومى، ١٩٨٤، صـ٤، ٥، ٨

النبوة لسيره على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إرساء دعائم الشرع ونشر المساواة والعدل وقتال المرتدين ومانعى الزكاة وإرسال بعوث الجهاد.

- أن الإمامة أو الخلافة لا يجوز حصرها واحتكارها فى النظام الوراثى أو فى جنس أوقبيلة؛ لأن الناس سواسية ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى وأن الله تعالى قد ساوى بين الجميع. وعلى ذلك فلا تمييز بين أحد من المسلمين عند الاختيار لهذا المنصب إذا كان القائم بها مستحقاً لها مستوفياً لشروطها، بقوله صلى الله عليه وسلم: إن أمر عليكم عبد حبشى مجدوع الأنف فاسمعوا وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله.[1] وعلى ذلك يرى الأباضية أن لا اشتراط لاطراد شرط قرشية الإمام بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: من استعمل رجلاً من عصابة (جماعة) وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنون. فالإمامة إذن لا تكون على أساس النسب والقرابة وإنما المقياس الصحيح لها هو التقوى والورع والعلم والكفاءة والمنعة والقوة، وغيرها من الشروط التى سبق عرضها عند استعراض شروط الإمامة الأباضية، ويرى الأباضية أنه إذا توفرت هذه الصفات والشروط فى قرشى فهو أولى بها من غيره، وإلا فلا عبرة بالقرشية. فموقف الأباضية إذن هو عدم الاعتبار بالنسب والحسب وإنما الاعتبار بالإيمان والتقوى والعمل الصالح لقوله صلى الله عليه وسلم لأفراد أسرته يوم جمعهم وناداهم بأسمائهم واحداً واحداً وقال لهم انقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً، إلا يأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بأنسابكم، وبالتالى فلا اعتبار للقرابة والنسب وإنما الاعتبار للإيمان والعمل الصالح.[2]

- أن الإمامة ضرورة ومصلحة لازمة للأمة لإقامة الحدود وإعلان الحروب؛ ولأن الحدود الواجبة لا تقام ولا توجد إلا بالأئمة وولاتهم كما فعل أبو بكر وعمر وباقى أئمة الخلافة الراشدة. ولذا رأى

---

[1] - رواه الربيع فى الجامع الصحيح. جـ٣، صـ١٣

[2] - محمد الشيخ بالحاج: وإن هذه أمتكم أمة واحدة. صـ٦٧

الأباضية وجوب الإمامة لأن فى إبطالها إبطال لإقامة الحدود وإعلان الحروب، فنصب الإمام وعقد الإمامة واجب شرعاً وعقلاً. ويدلل الأباضية على وجاهة هذا الرأى بالعديد من الأدلة النقلية والعقلية وآراء علمائهم مثل أبو عمار عبد الكافى الأباضى الذى أكد أن الآيات الكريمة الداعية إلى إقامة حدود الله وأن هذه الحدود مع وجوبها لا تقام ولا توجب إلا عن طريق السلطة الحاكمة أى الإمام وولاته.

وفى هذا الإطار كان موقف الأباضية الرافض للعديد من آراء الخوارج وخاصة النجدات الذين رأوا جواز عدم إقامة الحدود وقالوا: إن الحدود لا تقام بالسلطة الحاكمة ولا بالإمامة وأن الناس إذا التزموا بمبادئ الشرع وأحكامه فلا داعى ولا لزوم للإمامة أصلاً، لأن الناس ليسوا فى حاجة إلى إمام. ورد الأباضية عليهم بالعديد من الأدلة فى ثبوت الإمامة ووجوبها ولزومها عند إقامة الحدود وأن عدم وجود الإمامة يبعث على الفوضى وفقد النظام. وهذه الأدلة يمكن مراجعتها فى المبحث الأول عند استعراض أدلة وجوب الإمامة عند الأباضية. كما وقف الأباضية أيضاً فى مواجهة العديد من فرق الخوارج كالشبيبة التى جوزت إمامة المرأة، عندما استخلف شبيب امه غزالة، فاعترض الأباضية وأدانوا هذا المسلك مرددين الحديث الشريف: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة".

ثانياً: موقف الأباضية من خلافة عثمان وعلى رضى الله عنهما

انطلق موقف الأباضية من المبدأ العام أنه لا اعتبار فى تولى الإمامة إلا للمؤهلات الشرعية وهى الإيمان والتقوى والكفاءة والعمل الصالح، دون اعتبار لأى مقياس آخر من جنس أو قومية أو قبيلة. وطبق الأباضية هذا المبدأ عند الاختيار بين عثمان وعلى رضى الله عنهما خاصة بعد أن انحصرت البيعة فى عثمان وعلى بلا منافس لهما، وحيث وليها عثمان ثم قتل، فقد انحصرت الإمامة والبيعة لعلى

بن ابى طالب وحده، ولذلك تمت مبايعته بإجماع أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار وبقية أهل الشورى مثل طلحة والزبير رضى الله عنهما.

وبذلك أصبحت بيعة الإمام على رضى الله عنه للخلافة بيعة شرعية وخلافته خلافة رسمية بإجماع الأمة. وفق معيار الأفضلية وليس وفق معيار القرشية والنسب، وأصبحت بيعته فى أعناق المسلمين جميعاً واجبة عليهم طاعته بعد طاعة الله ورسوله استجابة لأمر الله تعالى:"ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم"[1].

وعلى ذلك فموقف الأباضية من تخلف معاوية عن البيعة لعلى بن أبى طالب أنه لا يخل بالبيعة ولا ينقضها لأن معاوية لم يكن من المهاجرين ولا من الأنصار، لأنه أسلم بعد غلق باب الهجرة بفتح مكة؛ لأن معاوية كان من مسلمى الفتح وكان مع أبيه أبى سفيان وعليه فليس من حقه أن ينافس علياً فى الفضل أو ينازعه الخلافة، وبالتالى فإن تخلفه عن البيعة لعلى لا ينقض البيعة ولا يبطلها ولا ينقص شيئاً من شرعية خلافة على بن أبى طالب وإمامته ووجوب طاعته. كما دحض الأباضية حجة من قال بحق معاوية فى المطالبة بدم عثمان باعتباره ولياً لعثمان بنص القرآن فى قوله تعالى:"ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل"[2].

وفى هذا يقرر الأباضية أولاً: أن دعوى معاوية وأصحابه باطلة دينياً وواقعياً وشرعياً؛ لأن معاوية لم يكن الولى الحقيقى لدم عثمان مادام عثمان قد خلف من بعده أبناء لصلبه وخلف أبناء عم قريبين مثل مروان بن الحكم بن العاص وغيره بينما معاوية يعتبر ابن عم بعيد، فهو معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن العاص.

---

[1] - النساء: ٥٩

[2] - الإسراء: ٣٣

ثانياً: فإن الأية صريحة على أن لولى الدم سلطاناً أى قوة المطالبة بدم المقتول على أن لا يسرف فى القتل، والسلطان أو القوة التى يطالب بمقتضاها بدم وليه المقتول إنما هى قوة وسلطان الإمام أو الخليفة الذى يمكنه من القصاص العادل دون إسراف، ولا يمكن أن يترك الناس سدى يقتص بعضهم من بعض فتحدث الفتن والحروب الأهلية مما ينافى حكمة القصاص الذى قال فيه الحق تعالى:"ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون"[1].

ثالثاً: أن الزعم بأن مقتل عثمان عدوان على عرش الخلافة وأنه لا يسترجع هذا العرش إلا بعد القصاص من قتلة عثمان قبل بيعة على بن أبى طالب أو أى إمام بعده، فهذا زعم باطل. بدليل أن عمر بن الخطاب قد قتل من قبل فهل اقتص من المدبرين لقتله قبل بيعة عثمان؟ وبالتالى فالواجب هو تنصيب الإمام قبل القصاص ليقوم بالتثبت والتحقيق فى بواعث القتل ومدبريه ثم تنفيذ حكم القصاص فيمن يستحق القصاص منه. وعلى ذلك يرى الأباضية أن تخلف معاوية عن بيعة الإمام على إنما كان لحاجة فى نفسه، ومن ثم يعتبر تخلفه خروج عما دخل فيه المسلمون وبغياً على سطان وإمام المسلمين ومحاولة لشق العصا لوحدة أمة المسلمين.

رابعاً: أن مرجحات الإمامة بين عثمان وعلى كانت متساوية إلا فى السن، ولهذا يرجع للحديث، فإن تساووا فأكبرهم سناً. فعثمان وعلى تساويا فى الصحبة والهجرة ومصاهرة النبى (صلى الله عليه وسلم) ولكل منهما مواقف بطولية فى الإسلام. فإذا اشتهر الإمام على فى بدر بمبارزته الوليد بن عقبة، واشتهر فى خيبر لقوله صلى الله عليه وسلم بعد الحصار الطويل سأعطى الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبانه ويكون النصر على يده فأعطاها علياً، واشتهر فى فتح مكة ويوم الهجرة وبالأمانة والشجاعة والعلم والورع حتى قال فيه صلى الله عليه وسلم: أقضاكم على وعلى مدينة العلم وغيرهما

---

[1] - البقرة: ١٧٩

من الأحاديث كثير. فكذلك كان لعثمان مواقف عظيمة مثل تجهيزه لجيش الإسلام، وشرائه بئر رومة وله الجنة، وكان المفاوض عن النبى مع قريش فى صلح الحديبية، وكان شديد الحياء حتى قال فيه صلى الله عليه وسلم: كيف لا أستحى ممن تستحى ملائكة الله منه. وأن عثمان من العشرة المبشرين بالجنة وهذه البشارة للعشرة تثبت فى حقهم ولاية الحقيقة ولا يجوز أن تتبدل أو تتحول إلى البراءة.

خامساً: أن الأخطاء التى ارتكبها عثمان فى الست سنوات الأخيرة من حكمة وأنكرها الصحابة والتابعون عليه تدخل فى باب الأخطاء الإدارية أو السياسية كتغيير الولاة وتسريح كبار الصحابة على مختلف الأمصار لنشر الدين والعلم، وإلغاء نظام الجباية وشد أسنانه بالذهب حفاظاً على صحته فى هرمه ونخله الطعام وإعطائه الهدايا النفيسة من ماله وغيرها من الأفعال التى لا تخل ولا تضعف الإيمان. ولهذا يجمع الأباضية على أن مقتل عثمان كان قتل عدوان وظلم ومؤامرة مدبرة من أعداء الإسلام بهدف إحداث الفتنة وإضعاف الإسلام وأهله وشق وحدتهم.

ومع هذا الرأى هناك آراء أخرى أباضية تعارضه (تعارض هذا الرأى) وهؤلاء لم يوافقوا أهل السنة الرأى بأن عثمان بن عفان كان مصيباً فى أفعاله وأن قتله كان ظلماً وعدواناً، كما أنهم لم يوافقوا الشيعة الرأى بأن الإمامة بالنص والتعيين، وأن وجوبها الشرعى عماده النص قرآناً وسنة، فرأى الأباضية أن الوجوب الشرعى للإمامة يستلزم الاختيار والشورى وموافقة أهل الرأى والحل والعقد.

سادساً: أن ابتداء الفتنة والقلاقل بدأت فى معسكر عثمان تماماً كما ظهرت بعد ذلك مع الإمام على فى معسكره أيضاً، مع خدعة التحكيم وتلك ملاحظة تاريخية هامة، إلى جانب موقف عثمان من كبار الصحابة وموقفه من أهل قرابته. فمن ناحية أطلق عثمان لكبار الصحابة والتابعين حرية الرأى والنقد وسمح لهم بالخروج من المدينة إلى باقى الأمصار المفتوحة وكان لهؤلاء رأيهم الخاص فى تصرفات

عثمان وانتقدوا أشخاص الولاة، وكان من هؤلاء أبو ذر الغفارى الذى جاهر بنقده لولاة الشام بقوله: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هى فى كتاب الله ولا سنة نبيه، والله إنى لأرى حقاً يطفأ وباطلاً يحيا وصادقاً مكذبا وأثرة بغير تقى ومالاً مستأثراً به. وظل على ذلك حتى قال حبيب الفهرى لمعاوية أ ن أبا ذر لمفسد عليكم الشام، فشكا معاوية أبا ذر لعثمان، فأحضره إلى المدينة ثم نفاه إلى الربذة، وكان لهذا الموقف أثره السلبى على العوام الذين يقدسون الصحابة ويحبونهم.

ومن ناحية أخرى فقد تجاوز عثمان رضى الله عنه خاصة فى الست سنوات الأخيرة من حكمه، عندما تزايدت محبتة لأهل قرابته على حساب دولته فاعتمد عليهم فى المشاورة دون اعتبار لكبار الصحابة والتابعين وعلى رأسهم على بن أبى طالب وسعد بن أبى وقاص وطلحة وغيرهم من الخاصة الذين كان يستشيرهم عمر بن الخطاب؛ حتى أنه تجاهلهم فى مقابل اعتماده على قرابته فى تعيين الولاة الذين قبضوا على ناصية الأمور فى الدولة. فكان لمروان بن الحكم دوره فى إثارة الرأى ضد هؤلاء وخاصة عندما ولى عثمان رضى الله عنه عبد الله بن سعد بن أبى السرح على مصر بعد عمرو بن العاص، ولم يكن عبد الله كيساً أو رحيماً مثل عمرو بن العاص فكرهه الناس خاصة وأنهم يعرفون عن مواقفه المعادية للإسلام وأنه الرجل الذى آمن ثم كفر ثم كذب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكانت قسوة عبد الله بن سعد وسوء تصرفاته من أسباب النقمة على عثمان رضى الله عنه. هذا إلى جانب ما اتصف به عثمان من ضعف ولين مع عماله وولاته من أقاربه، ولم يكن حازماً حتى مع العصاة الذين هاجموه فى داره ولم يعزل الولاة الظلمة، فشاع السوء وزادت الكراهية لعثمان وولاته وبدأ البعض ينادى بولاية على بن أبى طالب وأنه الأحق بالإمامة من عثمان ومن معاوية.

موقف الأباضية من الإمامة العلوية

بدأت مشكلة الإمامة العلوية عندما أشيع أن طلحة والزبير لما بايعا الإمام على رضى الله عنه اشترطا عليه الاقتصاص من قتلة عثمان أخذاً لثأره ودمه. ويرى الأباضية انه إن صح ذلك فهذا شرط باطل عند البيعة لأنه لا شرط إلا شرط إقامة كتاب الله وسنة رسوله وتنفيذ أحكام الشريعة لقوله تعالى:" وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم"[1]، وقوله تعالى:"وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل"[2]. وذلك يتطلب إقرار الأمن أولاً ثم تنفيذ أحكام القصاص ثانياً. ومن هنا يعتبر خروج طلحة والزبير على إمامة على بعد ستة أشهر فقط من بيعته واستمالتهم أم المؤمنين عائشة للخروج معهم ضد على بدعوى المطالبة بدم عثمان شهيد الدار، فهذا خروج باطل وبغى وتمرد على السلطان والإمام الشرعى.

وفى موقعة الجمل قتل طلحة والزبير واستسلمت عائشة رضى الله عنها لعلى بعد عقر جملها فتابت إلى على وأكرمها إكراماً بالغاً إجلالاً لها وتشريفاً وأعادها إلى بيت النبوّة مكرمة. وما إن خرج الإمام على من وقعة الجمل منتصراً مجهداً، فقد أسرع معاوية فأعلن عليه الحرب على الإمام على بدعوى المطالبة بدم عثمان وقعود على عن الأخذ بثأره واتهمه بالتواطؤ مع القاتلين والمشاركة معهم فى قتله وأثيرت الإشاعات الكاذبة والافتراءات على الإمام على.

وقبل أن يتقابل الجيشان فى صفين حاول الإمام على تحاشى القتال ولكنهم رفضوا الامتثال لأمر الله فاضطر لقتالهم. وقبل انتهاء المعارك وانتصار جيش على، لجأ جيش معاوية إلى حيلة رفع المصاحف والدعوة إلى الاحتكام إلى حكم الله، وقيل إن هذه الحيلة من تدبير عمرو بن العاص حليف معاوية الداهية، وقد تربص بعلى وأصحابه إحدى الدائرتين: إما أن يستجيبوا لوقف القتال فينجوا معاوية ومن معه، وإما أن يختلف على ومن معه فى استمرار الحرب

---

[1]- المائدة: ٤٩

[2]- النساء: ٥٨

والقتال فينقسموا أو يتنازعوا فيفشلوا وتذهب ريحهم وهذا ما وقع بالفعل.

ولما دعا معاوية ومن معه للتحكيم سئلوا ما المقصود بالتحكيم؟ قالوا: نرى ما فى القرآن فنحل حلاله ونحرم حرامه، فقيل لهم: إن حكم القرآن ظاهر بيّن إما أن تدخلوا فى الطاعة كما دخل فيها سائر الأمة، وإما أن نعود للحرب ولا ثانى لهما. فقالوا: لا يحكم الرجال ألا إن الحكم إلا لله. ومع ذلك رضى الإمام على مكرها وقبل التحكيم وأمر بوقف القتال ووضعت الوثيقة التمهيدية لمفاوضات التحكيم فى دومة الجندل واشترطت أن يلتزم الطرفان معاً معاوية ومن معه من جهة وعلى ومن معه من جهة أخرى بنتيجة التحكيم مهما كانت ومن أنكر شيئاً منها كان المسلمون جميعاً حرباً عليه.

وقبل أن يوقع الإمام على وثيقة التحكيم حذره جماعة من أصحابه (الذين كونوا جماعة الأباضية فيما بعد) من خطر التوقيع والقبول المسبق بهذا الشرط وتوجسوا من الحكمين عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى، واستسلم الإمام على لرأى قبول التفاوض وشروط التحكيم كما قبل أن يكون أبو موسى الأشعرى مفاوضاً عنه بدلاً من ابن عمه عبد الله بن عباس، ووقع على وثيقة التحكيم ومنها قبول النتيجة مسبقاً. وكانت نتيجة التحكيم التى أعلنها أبو موسى الأشعرى هى عزل كل من على ومعاوية واستقبال المسلمين أمرهم بأنفسهم يختارون من يرونه لدينهم ودنياهم.

فقال عمرو بن العاص: ألا إن هذا قد عزل صاحبه علياً وأنا أعزله كما عزله وأثبت صاحبى معاوية، وهنا قام الحاضرون لمبايعة معاوية بالخلافة. ولهذا سميت قضية التحكيم بالخدعة الكبرى والتى أدت إلى الفتنة الكبرى؛ لأنها فرقت المسلمين إلى ثلاث كتل هى: كتلة على بن أبى طالب وكتلة معاوية بن أبى سفيان، وكتلة المحكمة الذين رفضوا قبول التحكيم ورفضوا قبول الإمام على له واعتزلوا جيش على ثم بايعوا منهم الإمام عبد الله بن وهب الراسبى فى النهروان فى

٢٠ شعبان عام ٦٥٨م. وهؤلاء سموا جماعة المؤمنين، وأهل حروراء وأهل النهروان، وهم ابتداء ظهور جماعة الأباضية، فإلى كتلة المحكمة تنتمي المدرسة الأباضية التي نسبت إلى إمامها السياسي عبد الله بن أباض تـ حوالى ٦٨هـ، ٧٠٥م، والذى يصدر رأيه عن الإمام جابر بن زيد الأزدى العمانى تـ حوالى ٧١٠م.

وفى هذا الموقف يقرر الأباضية أولاً: أن الإمام على وجماعته حاولوا الإصلاح ما استطاعوا ودعوا معاوية وعمرو للسلم فأبى وبغى وحيث أبى وبغى تعين قتاله شرعاً، وحيث كانت مقاتلته شرعية فإنه لا يجوز إيقافها حتى يفئ إلى أمر الله وطاعة رسوله وأولى الأمر وإمامهم الشرعى على كرم الله وجهه. ثانياً: أن الإمام على بقبوله التحكيم وشروطه وقبوله الحكم أصبح معزولاً بقرار التحكيم ومنعزلاً بصفة شرعية من الإمامة والخلافة وسقطت بذلك صفته الشرعية وانخلعت طاعته من أعناق المسلمين، وأنه عندما عاد ليأمر قومه بالاستعداد للحرب ومقاتلة عمرو ومعاوية قال بعض العلماء من جيشه بأى صفة نقاتل؟ فالحرب لا تشرع إلا بإذن الله ورسوله وأولى الأمر من المسلمين فبأى صفة تأمرنا بالحرب ومقاتلة معاوية ومن معه؟.

وقالوا أيضاً كنا نقاتلهم باعتبارهم بغاة خارجين عن طاعة إمام المسلمين الذى تجب طاعته، أما اليوم حيث لا إمام شرعى فلا طاعة ولا عصيان ولا بغى، فلا حرب إلا بعد مبايعة واختيار الإمام الشرعى الذى يرتضيه أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار. وهؤلاء اعتزلوا الحرب وأطلق عليهم أعداؤهم اسم الخوارج لخروجهم من جيش على وانعزالهم بحروراء قرب النهروان. واعتزلوا معسكر الإمام على ومعاوية وخرجوا من الكوفة إلى حروراء ثم النهروين وبايعوا هناك عبد الله بن وهب الراسبى فى شوال ٣٧هـ. وعندها رفع أصحاب عبد الله بن وهب شعار قبلت الدنية فى دين الله ولا حكم إلا لله. ثالثاً: إن الذين أنكروا التحكيم سموا

الشراة وسماهم الأعداء الخوارج الذين قالوا: بعنا أنفسنا من الله بالجنة لقوله تعالى:"إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة"[1].

وهنا يظهر التشابه والاشتراك بين الخوارج والأباضية فى كونهم من جيش على رضى الله عنه، وأنهم رفضوا التحكيم وا عتزلوا جيش على كما اعتزلوا المعسكرين معاً، على ومعاوية وقادوا حركة الدعوة إلى إمامة عامة للمسلمين وفق مبدأ الحرية والاختيار والكفاءة الشرعية، ولقد رفض الأباضية أن يسموا بالخوارج وقبلوا نسبتهم إلى عبد الله بن أباض التميمى وتسميتهم بالأباضية.

رابعاً: بعد مشكلة التحكيم وانقسام جيش على وخروج عبد الله بن وهب الراسبى منه ومبايعته إماماً بدلاً من على بن أبى طالب، كان أصحاب عبد الله بن وهب الراسبى يعتقدون أن إمامهم هو الإمام الحق وأن كلاً من على بعد التحكيم والعزلة، ومعاوية كلاهما ثائران يجب عليهما الرجوع إلى حظيرة الإمامة والأمة. وكان الأمويون (حكام بنى أمية) والشيعة يحاولون أن يلصقوا لقب الخروج عن الدين باتباع عبد الله بن وهب الراسبى، وعندما حاول الإمام على تجميع جيشه لمحاربة معاوية وإخماد ثورته ومحاولة إخضاعه من جديد، أشار عليه بعض أصحابه ومنهم الأشعث بمحاربة عبد الله بن وهب أولاً لأنه اعتبر نفسه خليفة عن طريق البيعة الشرعية، واقتنع على بصواب رأى الأشعث فعدل عن محاربة معاوية إلى محاربة عبد الله بن وهب الراسبى، فقضى عليه وعلى جماعته فى النهروان.

خامساً: بعد هذا الموقف أعلن الأباضية بعض الآراء منها أنهم يرفضون النزاع على مناصب الدولة أو الدخول فى الثورات ضد الخلافة القائمة، وأنهم يرفضون ثورة طلحة والزبير وثورة معاوية بن أبى سفيان والثورة التى قتل فيها عثمان، والثورة التى اعتزل فيها

---

[1] - التوبة : ١١١

جماعة من جيش على بعد التحكيم وعزل أبى موسى الأشعرى له. وبالتالى فهم يرون صواب إطلاق لفظ الخروج على أصحاب هذه الثورات، وأنه من الضين إطلاقها على المعتزلين لعلى وهم الخوارج. وعلة ذلك عندهم أن هؤلاء لم ينكروا أصلاً من أصول الإسلام ولم يكذبوا معلوم من الدين بالضرورة خاصة وأن هؤلاء كان معهم فريق من كبار الصحابة المشهود لهم بالجنة، وأن لفظ الخروج يجب إطلاقه فقط على المرتدين الذين خرجوا فى خلافة أبى بكر وكذبوا بركن ثابت من أركان الدين.

ومما سبق يتضح أن موقف الأباضية من الخلافة الراشدة يحتاج إلى المراجعة والدقة خاصة وأن بعض الأباضية قد أساءوا القول فى عثمان وعلى وأصحابهما خاصة مسألة التحكيم ومعركة النهروان، ولعل هذا الموقف هو الذى دفع عبد الملك بن مروان إلى مكاتبة عبد الله بن أباض وسؤاله عن موقف الأباضية من عثمان وعلى ومعاوية وإجابة عبد الله بن أباض فى رسالته المشهورة المسماة: كتاب عبد الله بن أباض إلى عبد الملك بن مروان والتى جاء فيها قوله: وأنا أبين لك يا عبد الملك بن مروان ما أنكر المسلمون (يعنى الأباضية) على عثمان وفارقوه عليه، عسى أن تكون غافلاً فأذكرك، أو جاهلاً فأعرفك. فلا يحملنك هواء عثمان يا عبد الملك أن تكذب بأيات الله وتعرض عنها فإنه لا يغنى عنك من الله شيئٌ وأنه كان ممن طعن عليه المسلمون وفارقوه وفارقناه عليه، قال الله عزّ وجل: "ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين لهم فى الدنيا خزىٌ ولهم فى الآخرة عذاب عظيم"[1]. وكان عثمان أول من منع مساجد الله أن يقضى فيها كتاب الله.

وممن نقمنا عليه وفارقناه أن الله عزّ وجل قال: "ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من

---

[1] - الحشر : ٧

حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين"[1]. فكان خيار هذه الأمة قد طردهم ونفاهم فكان من نفى من أهل المدينة أبا ذر الغفارى، ومسلم الجهنى، ونافع بن الحطام. ونفى من أهل الكوفة كعب وجندب بن زهير قاتل الساحر. ونفى عمر بن زرارة ويزيد بن صحوان وأسود بن دويح ويزيد بن قيس الهمدانى وكردوس بن الحضرمى فى أناس كثير من أهل الكوفة. ونفى من أهل البصرة عامر بن عبد الله، ومدعور العنبرى ومن لا يستطاع عدهم من المؤمنين.

ومما نقمنا عليه أنه أمَّر أخاه الوليد بن عقبة على الناس فكان يلعب بالسحر ويصلى بالناس سكران، فاسق فى دين الله وإنما أمَّره من أجل قرابته. وممن نقمنا عليه جعل المال دولة بين الأغنياء وقد قال الله عزّ وجل "كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم"[2]، فبدل فيه كلام الله واتبع هواه. ومما نقمنا عليه أنه أول من تعدى فى الصدقات وقد قال الله: "إنما الصدقات للفقراء والمساكين"[3]، والذى أحدث عثمان منعه فرائض كان فرضها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وأنقص أهل بدر من عطاياهم ألف ألف، وكنز الذهب والفضة ولم ينفقها فى سبيل الله.

ومما نقمنا عليه كان يضم كل ضالة على إبله ولا يردها ولا يعرفها وكان يأخذها من الإبل والغنم إذا وجدها عند أحد، وقد قال الله عزّ وجل: ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين"[4]، وقوله تعالى:"ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم"[5]. ومما نقمنا عليه أنه أخذ خمس الله لنفسه وأعطى من أقاربه وكان ذلك تبديلاً لحكم الله، والله فرض الخمس لله ورسوله ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن

---

[1] - الأنعام : ٥٢
[2] - يونس: ٥٩
[3] - الأحزاب: ٣٦
[4] - الأعراف:٨٥
[5] - النساء: ٢٩

السبيل".[1]، ومما نقمنا عليه منع أهل البحرين وأهل عمان أن يبيعوا شيئاً من طعامهم حتى يباع طعام الإمارة وذلك تحريم لما أحلّ الله فى قوله: "أحلّ الله البيع وحرّم الربا".[2]

والعديد من الآيات تشهد على عثمان وإنما شهدنا عليه بما شهدث عليه الآيات، فلما رأى المسلمون (الأباضية) الذى أتى به عثمان من معصية الله، وعلم المسلمون أن طاعة عثمان على ذلك طاعة إبليس فساروا إلى عثمان من أطراف الأرض واجتمعوا إليه ملأ من المهاجرين والأنصار وعامة أزواج النبى (صلى الله عليه وسلم) فأتوه وذكروه بالله وأخبروه بالذى أتى من معاصى الله. فزعم أنه يعرف الذى يقولون وأنه يتوب إلى الله عزّ وجل ومنه ويراجع الحق فقبلوا الذى أتاهم به من الاعتراف بالذنب والتوبة ومراجعة الحق وكان حقاً على أهل الإسلام إذا التقوا بالحق أن يقبلوه ويجامعوه إذا استقام على الحق، فلما تفرقوا عنه نكث الذى عاهدهم عليه وعاد إلى أعظم من الذى تاب عنه. فكتب إلى عماله فى أدبارهم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، فلما ظهر المؤمنون على كتابه ونكثه العهود رجعوا إليه وقتلوه بحكم الله، وقد قال الله عزّ وجل: "وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون"[3]، وقد عمل بكتاب الله وجامع المسلمين زمانا ثم ارتد على عقبيه، وقد قال الله عزّ وجل: "إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم".[4] فهذا وأمثاله من خبر عثمان هو الذى فارقه عليه المؤمنون (الأباضية) وفارقناه (أى عبد الله بن أباض) وطعنوا عليه فيه وطعنا نحن اليوم فيه.

---

[1] ـ الأنفال: ٤١
[2] ـ البقرة: ٢٧٥
[3] ـ التوبة: ١٢

ويستكمل عبد الله بن أباض رأى الأباضية فى على وعثمان ومعاوية بقوله لعبد الملك بن مروان: فقد ذكرت كونه أى عثمان رضى الله عنه مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وخلته معه، فقد كان على بن أبى طالب أقرب من قرابه إلى رسول الله وأعظم خلة وأقدم هجرة وأسبق إسلاماً وأنت تشهد له بذلك وأنا بعد ذلك، فكيف كانت قرابته وخلته هل كانت نجاة إذا ترك الحق أى الإمامة والبيعة أم هلاكا؟ فلا يغرنك يا عبد الملك بن مروان عز نفسك ولا تسند دينك إلى الرجال فإنهم يستدرجون من حيث لا يعلمون، فإن أملك الأعمال خواتمها وكتاب الله جديد أبداً لا ينطق إلا بالحق.

ثم يستطرد عبد الله بن أباض رأيه فى معاوية بن أبى سفيان فيقول: وأما قولك فى معاوية أن الله أقام معاوية وعجل نصره وبلغ حجته وأظهره على عدوه بالطلب لدم عثمان، فإن كنت تعتبر الدين من قبل الدولة والغلبة فى الدنيا فإنا لا نعتبره من قبل ذلك، فقد ظهر المسلمون على الكافرين لينظر كيف يعملون، وأظهر المشركون على المؤمنين ليبلى المؤمنين ويملى الكافرين، وانظر ما أصاب المؤمنين من المشركين يوم أحد، وانظر كيف ظهر قتلة ابن عفان عليه وعلى شيعته يوم الدار، وظهر علىٌ على أهل البصرة وهم شيعة عثمان، وظهر المختار على زيد وأصحابه وهم شيعتهم وظهر مصعب على المختار، وظهر أهل الشام بمكة، فلا تعتبر الدين من قبل الدولة فقد يظهر الناس بعضهم على بعض، فقد أعطى الله فرعون ملكاً وظهر فى الأرض، وأعطى الذى حاج إبراهيم فى ربه ملكاً، ثم إن معاوية إنما اشترى الإمارة من الحسن بن على، ولم يف له بما اشترط عليه وعاهد الله العظيم ليوفين له، وقد قال الله عزّ وجل : "ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها".[1]

ولا تسأل عن معاوية وعن صناعته (أى أفعاله) غيرى لأنى قد أدركته ورأيت عمله وسيرته، ولا أعلم من الناس أحداً أترك للقسمة

---

[1] - النحل : ٩

التى قسمها الله، ولا لحكم حكمه الله، ولا أسفك لدم حرمه الله منه، فلو يصب من البلاء إلا دم ابن سمية لكان فيه ما يكفره ثم استخلف ابنه يزيد فاسقاً لعيناً كافراً شارباً للخمر، فيكفيه من الشر فلا يخفى عمل معاوية ويزيد ابنه على كل عاقل. فاتق الله يا عبد الملك ولا تخادع نفسك فى معاوية. فمن يتول عثمان ومن معه فإنى أشهد الله وملائكته أنى منهم برئ، أعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا.

ثم يختم عبد الله بن أباض كتابه إلى عبد الملك بن مروان بدحض اتهام ابن مروان له بالغلو فى الدين فيرد بقوله: وسأبين لك ما الغلو فى الدين إذا جهلته. فالغلو فى الدين أن يقال على الله غير الحق ويعمل بغير كتاب الله الذى بين وسنة نبيه التى سنَّ، لقوله تعالى: "يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق"[1]، وقوله تعالى: "يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم غير الحق"[2]، كما على عثمان والأئمة بعده وأنت على سبيلهم وطاعتهم تجامعهم على معصية الله وتتبعهم وقد اتبعوا أهواءهم واتبعتهم عليها. وقال الله عزّ وجل: "ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل"[3] فهؤلاء أهل الغلو فى الدين.

ثم يدافع ابن أباض عن موقف الخوارج المعارض لعثمان وجماعته بقوله: هم أصحاب عثمان الذين انكروا عليه ما أحدث من بدعة وفارقوه حين ترك حكم الله، وهم أصحاب طلحة والزبير حين نكثا، وأصحاب معاوية حين بغى، وأصحاب على بن أبى طالب حين بدل كتاب الله وحكم عبد الله بن قبيس وعمرو بن العاص، فهم فارقوا هؤلاء كلهم وأبوا أن يفرقوا بحكم البشر دون حكم الله، فهم لمن بعدهم أشد عداوة وأشد مفارقة، كانوا يتولون فى دينهم وسنة النبى (صلى الله عليه وسلم) وأبى بكر وعمر (رضى الله عنهما)، ويدعون إلى سبيلهم ويرضون على ذلك كانوا يخرجون إليه وإليه يدعون وعليه

---

[1] - النساء: ١٧١
[2] - المائدة : ٧٧
[3] - المائدة : ٧٧

يفارقون، وقد علم من عرفهم وعرف حالهم أنهم كانوا أحسن عملاً وأشد قتالاً فى سبيل الله، هذا خبر الخوارج شهد الله والملائكة إنا لمن عاداهم أعداؤنا ولمن أولاهم أولياؤنا بألسنتنا وأيدينا وقلوبنا، نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه عند ربنا، إنا براء إلى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه، لقد كان حين خرج على الإسلام فيما ظهر لنا ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد إسلامه فنبرأ إلى الله منهم.

ثم ختم ابن أباض كتابه بالتمييز بين إمام الهدى وإمام الضلال بقوله لعبد الملك بن مروان: فاحذر أن تتفرق بك السبل وتتبع هواك، فإن الناس إنما يتبعون فى الدنيا والآخرة إمامين، إمام هدى وإمام ضلالة. فإمام الهدى الذى يتبع كلام الله ويقسم بقسمة الله ويحكم بحكم الله وهو الذى قال فيه عزّ وجل : "وجعلناكم أئمة يهدون بأمرنا"[1]، وهؤلاء هم الأئمة الذين أمر الله بطاعتهم ونهى عن معصيتهم. وأما أئمة الضلالة فهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ويقسمون بغير قسمة الله، ويتبعون أهواءهم بغير سنة الله، فهؤلاء الذين قال الله عزّ وجل فيهم: "ولا تطع الكافرين وجاهدهم جهاداً كبيراً"[2]، وقال تعالى: "ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه"[3]، وقوله تعالى: "وهذا كتابنا ينطق بالحق فماذا بعد الحق إلا الضلال"[4].

ولا شك أن كتاب عبد الله بن أباض إلى عبد الملك بن مروان يعبر خير تعبير عن موقف الأباضية من الخلافة الراشدة، كما يتضمن العديد من الاتهامات التى تبرر مقتل عثمان رضى الله عنه بعد أن حملوه مسئولية أفعال عماله وولاته وأبنائه وأصحابه متناسين

---

[1] - الأنبياء : ٧٣
[2] - الفرقان: ٥٢
[3] - الكهف: ٢٨
[4] - النساء: ١٧١

قول الحق سبحانه: "ولا تزر وازرة وز أخرى"[1]، وقوله تعالى: "كل نفس بما كسبت رهينة"[2].

ولعل ذلك وراء قولنا أن موقف الأباضية من الخلافة الراشدة على العموم ومن إمامة عثمان وعلى ومعاوية على الخصوص تحتاج إلى المراجعة الدقيقة والمحاسبة مع النفس، ولذا نرى وجوب التوقف فى الطعن على كبار الصحابة والخلفاء الراشدين وذلك لعلو منزلتهم فى الدين وأنهم من المبشرين بالجنة وقد وردت الآيات والأحاديث العديدة فى وجوب احترامهم والاقتداء بهم وعدم الطعن فيهم، فهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والقدوة لجميع المسلمين فى الصلاح والتقوى والعلم والهدى ولذا أمرنا باتباعهم واحترامهم لقوله صلى الله عليه وسلم: "أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"، وقوله: "عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى"، وقوله: "لا تؤذونى فى أصحابى فلو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهباً ما بلغ من أحدهم ولا نصفه"، وقوله: "إن الله اختار لى أصحاباً فجعل لى منهم أصهاراً وأختاناً، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".

هذا إلى كون على بن أبى طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما ممن يحبهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذا زوج النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة لعلى كرم الله وجهه، وزوج ابنتيه رقيه وأم كلثوم بعد وفاة رقية إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه، وقال صلى الله عليه وسلم لو أن لى أربعين بنتاً لزوجتك واحدة واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة. وعندما سئل عبد الله بن عمر عن الإمامين عثمان وعلى رضى الله عنهما تلى قوله تعالى: "تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يفعلون"[3]، وعندما

---

[1] - فاطر : ١٨
[2] - المدثر : ٣٨
[3] - البقرة : ١٣٤

سئل الخليفة عمر بن عبد العزيز عن خلاف الصحابة قال: تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلا نلوث بها ألسنتنا".

الفصل الثانى

الإمامة الأباضية بالمغرب العربى

أولاً: إمامة العلم

تزعمها الإمام جابر بن زيد الأزدى (٢١- ٩٦ هـ)، وصفه الدرجينى فى الطبقات بأنه منشئ الحركة الأباضية، وأنه بحر العلوم وسراج التقوى، ناهيك به من سراج أصل المذهب وأسه الذى قام عليه نظامه، ومنار الدين، صاحب ابن عباس رضى الله عنه وكان أمهر من صحبه وقرأ عليه والمتقدم ممن يشار فى ألفتيا إليه.[١]

فى مبتدأ القرن الثانى الهجرى كابتداء الإمام جابر بالتأليف لديوان ضخم جمع فيه رواياته للحديث ومعظم آرائه، ولكن هذا الديوان تعرض للضياع أو الاختفاء فى العصر العباسى. وكانت دروسه فى التفسير والحديث والفقه وراء القول بأن الإمام جابر هو واضع أسس المدرسة الأباضية فى علوم التفسير والحديث والفقه، وأن منطلق فكره هو المنهج السنى ولذا كان يردد القول: ومن ضيع للناس أمراً مخالفاً للسنة فإنه لا يمكن أن يكون على صواب. وذكر الإمام أبو عبيدة فضل الإمام جابر فى توثيق المذهب الأباضى وربطه بالصحابة فيقول: كل صاحب حديث ليس له إمام فى الفقه فهو ضال، ولولا أن من الله علينا بجابر بن زيد رضى الله عنه لضللنا.

وتتفق الوثائق الأباضية على أن الإمام جابر بن زيد هو فقيه المذهب ومؤسسه الحقيقى، وأنه إمام المذهب الروحى ومفتيهم، وهو محدث معروف بقوة السند والمصدر وسلامته؛ لأنه تتلمذ فى الفقه والحديث على كبار الصحابة وفى مقدمتهم عبد الله بن عباس وعبد

---

[١] - الدرجينى: الطبقات. جـ٢، صـ٢٠٥

الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وأم المؤمنيين عائشة رضى الله عنها، كما درس على كبار الصحابة بمكة والمدينة والبصرة أصول التفسير والحديث والفقه ولذلك فهو مؤسس المذهب وواضع الأصول السياسية والاعتقادية له، وبفضله أصبح المذهب الأباضى متميزاً بالسبق على غيره من المذاهب.

كما نجح الإمام جابر من خلال مجالسه التى سميت بالحلقة أن يحافظ على المذهب ودعاته بتطبيق مبدأ التقية كوسيلة للحفاظ على المذهب وكتمانه وعدم كشفه، وفى مجالس الإمام جابر تعلم الأتباع علوم الأصول والفروع والسير والفقه والحديث والتوحيد وآراء الفرق والمذاهب إلى جانب علوم اللغة والفلك والرياضيات، هذا إلى جانب تبصيرهم بفنون الحكم والإمارة وأساليب السياسة وإعدادهم لتقلد المناصب القيادية والاضطلاع بأعباء الإمامة فى مرحلة الظهور. ولعل هذا الموقف الفاعل فى تأسيس المذهب ودعاته سواء فى البصرة أو فى عمان وراء موقف الحجاج بن يوسف الثقفى منه عندما أمر بحبسه ثم نفيه إلى عمان بحجة أنه رفض مهمة القضاء وقوله أنه أضعف من ذلك.

وفى أصالة المذهب الأباضى وقيامه على إمامة العلم التى أرسى دعائمها الإمام جابر بن زيد قال الشيخ الفاضل ابن عاشور التونسى: كثير من المذاهب قد انقرض إلا المذهب الأباضى فقد استمد عوامل بقائه وخلوده من متانة أصوله ومرونة فروعه. وفيه أيضاً قال الشيخ بلحاج فى كتابه وإن هذه أمتكم أمة واحدة على الحق والاستقامة: حقاً إن المذهب الأباضى يعتبر من الوجهة التاريخية وباعتبار إمامة الدينى التابعى الكبير أبى الشعثاء جابر بن زيد المولود أواخر خلافة الخليفة الراشد الثانى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، والذى ولد عام ١٩هـ ونظراً لهذا الاعتبار فإن المذهب الأباضى هو أول المذاهب الإسلامية، وذلك لعلو سنده وقربه من منبع التشريع (القرآن) قبل أن يفترق فى فهمه وتأويله.

فالإمام جابر كان قريباً من منابع الهدى، فقد عاش فترة طويلة فى الحجاز قبل أن يستقر به المقام فى البصرة، وحرص على أن يأخذ العلم من منابعه الصافيه خاصة حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالإمام جابر بن زيد هو الإمام الدينى للمذهب الأباضى والذى يتشرف المذهب الأباضى بالانتساب إليه، وبالتالى فهو أسبق من بقية المذاهب الفقهية بما فى ذلك الإمام أبو حنيفة النعمان المولود ٨٠هـ، والإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة المولود عام ٩٣هـ، والإمام محمد بن إدريس الشافعى المولود ١٥٠هـ، والإمام أحمد بن حنبل المولود ١٦٤هـ، والإمام داود بن على الأصبهانى المولود ٢٠١هـ، وإمام الشيعة الزيدية الإمام زيد بن على بن الحسين بن على المولود ٧٩هـ وإمام الشيعة الأمامية.[١]

وتشير الوثائق الأباضية إلى مهمة إمامة العلم فى التصحيح وإقامة العدل لأن الإمامة العادلة لابد أن تقوم على الشورى والاختيار والعلم والورع والتقوى دون الاعتبار بالجنس والعرق كما قامت إمامة عبد الله بن وهب الراسبى إمام الظهور الأول عندهم ومن جاء بعده من أمثال إمام الشراة أبى مرداس المتوفى ٦١هـ، وإمام الكتمان الإمام أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة تـ ١٤٥هـ.

وكان للإمام جابر فضل بناء إمامة العلم وانتشارها فى المشرق والمغرب، وكان أئمة العلم الأباضية هم من تلاميذ مدرسة البصرة ومجالس الإمام جابر، فكان حملة العلم بالمشرق فى مقدمتهم الإمام الربيع بن حبيب ومنصور الرباحى وبشير بن المنذر النزوانى ومحمد بن المعلا الكندى وراشد بن عمرو الحديدى. أما حملة العلم الذين توجهوا إلى المغرب لإقامة إمامة العلم هناك كل من: الإمام أبو الخطاب عبد الأعلى المعافرى الذى أقام إمامة العلم بطرابلس بين

---

[١] - محمد الشيخ بالحاج: وإن هذه أمتكم أمة واحدة. صـ٢٨-٣٢

١٤٠ إلى ١٤٤هـ. وكذلك الإمام عبد الرحمن بن رستم الذى أقام إمامة العلم بتاهرت بالجزائر بين ١٦٠-١٦٨هـ.

الإمام عبد الله بن أباض:

ولد عبد الله بن اباض المرى من بنى مقاعس التميمى فى عهد معاوية بن أبى سفيان (٤٠-٦٠هـ) وتوفى حوالى ٨٥هـ فى زمن عبد الملك بن مروان، وقد عاصر ابن أباض كل من الإمام عبد الله بن الزبير ونافع بن الأزرق. اتسم ابن أباض بسمات التقوى والورع والعلم والصلاح كما اتسم بالشجاعة والقدرة على الحوار والجدل والإقناع بالحجة والدليل، والذى ظهر واضحاً فى كتابه إلى عبد الملك بن مروان رداً على خطاب التحذير الذى وجهه إليه عبد الملك وسؤاله له عن حقيقة الأباضية وموقفها من الخلافة الراشدة وما يتميز به الأباضية عن باقى الفرق والمذاهب كالخوارج والشيعة والمعتزلة وغيرها.

فأثبت ابن أباض صحة المذهب وحقيقته وسلامة رأى أتباعه كما أثبت أهمية التقية فى اختيار الإمام وحتى مسمى المذهب وبسبب هذه الرسالة أصبح ابن أباض إمام المذهب السياسى المعلن كما نسبت إليه الجماعة فسموا الأباضية لأنه استطاع بنجاح التعبير عن الدعوة والمذهب وأصوله الاعتقادية التى أرساها الإمام الأول للمذهب وهو الإمام جابر بن زيد، ولم يكن ابن أباض سوى أحد تلاميذ وأتباع الإمام جابر فهو لا يصدر فى شيئ من أفعاله وأقواله إلا بأمر الإمام وإرشاده.

وقد عبرت رسالة ابن أباض إلى عبد الملك بن مروان كما بيَّنا فى الفصل السابق عن حقيقة موقف ابن أباض وجماعته من الخلافة الراشدة وخاصة مواقف الخلاف والصراع بين عثمان وعلى ومعاوية، وهى المواقف التى وصفها عبد الملك بالغلو فى الدين وحاول ابن أباض إثبات وجاهة الموقف الأباضى فقال لابن مروان:

كتبت لى تحذرنى الغلو فى الدين وإنى أعوذ بالله من الغلو فى الدين، وسأبين لك ما الغلو فى الدين إذا جهلت، فإنه ما كان يقال على الله غير الحق ويعمل بغير كتابه الذى بين لنا وسنة نبيه التى سن، وقال الله تعالى: "ياأهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق"[1]، كما فعل عثمان والأئمة من بعده وأنت على طاعتهم وتجامعهم أى تجالسهم وتوافقهم، على معصية الله وتتبعهم وقد اتبعوا أهواءهم، وقد قال تعالى: "ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل"[2] فهؤلاء أهل الغلو فى الدين يقصد أتباع معاوية ومواليهم وعثمان وولاته من أقاربه.

ولما وصفت آراء ابن أباض بالشجاعة والصدق لم ير أتباع المذهب غضاضة فى قبول نسبتهم إليه وتسميتهم بالأباضية، ربما تقية لإخفاء حقيقة نسبتهم إلى الإمام جابر بن زيد، أو تسميتهم بالجابرية كما فى ذلك من تعريض الإمام الحقيقى للخطر أو التنكيل به وجعل حد ونهاية لعمله ونشاطه العلمى فى تكوين وتنشئة التلاميذ والأتباع، وربما لسبب آخر هو خشية تسميتهم بالجابرية وتشابه هذه التسمية مع مسمى القدرية أو الجبرية من أتباع مذهب الجبر ونفى الاختيار الذى تزعمه معبد الجهنى وأصحابه.[3]

الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة:

هو إمام الدعوة الأباضية والمسئول عن تنظيمها وقيادة الحلقة الأباضية فى إمامة الكتمان بعد الإمام جابر بن زيد الذى توفى عام ٩٦هـ. وقد أهله لهذا المنصب أنه تلقى العلم وجميع الفروع والأصول على يد الإمام جابر بن زيد وكبار الصحابة والتابعين حوالى أربعين عاماً. وقد سجن الإمام أبو عبيدة فى زمن الحجاج، وأفرج عنه بعد

---

[1] - النساء: ١٧١

[2] - المائدة: ٧٧

[3] - عامر النجار: الأباضية ومدى صلتها بالخوارج. ١٩٩٣، صـ١١٩-١٢١ ، محمد الشيخ بالحاج: وإن هذه أمتكم أمة واحدة. صـ٣٢،٣٣

موت الحجاج، فقام بتنظيم أسلوب الدعوة للمذهب وساعده فى ذلك حملة العلم الكبار أمثال أبى نوح وأبى مودود حاجب والربيع بن حبيب.

واستطاع الإمام أبو عبيدة وضع الأهداف الأباضية موضع التنفيذ وفى مقدمتها إقامة أو إعلان إمامة الظهور ومن أجل ذلك استطاع فى مرحلة الكتمان تنظيم قوى المذهب من الناحية العقائدية والسياسية والعسكرية استعداداً لعبور إمامة الدفاع والشراة ثم إمامة الظهور وبفضل توجيهاته وحسن نظامه استطاع حملة العلم ودعاة المذهب من نشره فى حضرموت واليمن وشمال إفريقيا، وبفضل استمرار الدعم والتوجيه لهم تمكنوا من إعلان إمامة الظهور الأباضية الأولى عام ١٤٠هـ.

فالإمام أبو عبيدة له فضل التنظيم والتوجيه والإعداد واختيار القادة واختيار مناطق الدعوة البعيدة عن القيادة المركزية للحكم فى دمشق وبغداد، وحسن استغلال فرصة الشعور العام بالضيق والتمرد على حكام بنى أمية، وفرصة ضعف الدولة الأموية وقرب انتهائها وزوالها. عندئذٍ أوعز ابن أبى كريمة إلى أباضية اليمن بالتعجيل بالثورة وتطبيق مبادئ المذهب السياسية وإعلان إمامة الظهور القائمة على مبادئ الشورى والعدل والنظام، فكان التعاون والتشاور وحسن التنظيم بين ابن أبى كريمة وضمام بن السائب وأبو الحر بن الحصين وحاجب الذى كان مسئولاً عن جميع النشاطات العسكرية للثورة باليمن منذ عام ١٢٩هـ إبان ضعف الدولة الأموية وقرب نهايتها.[١]

وكان الإمام أبو عبيدة شديد التمسك بعلم الصحابة والاقتداء بهم، وفى ذلك كان يقول: من لم يكن له أستاذ من الصحابة فليس هو على شئ فى الدين وقد منَّ الله علينا بعبد الله بن عباس وعبد الله بن

[١] - عامر النجار. الأباضية ومدى صلتها بالخوارج. دار المعارف، ١٩٩٣، صـ١١٧-١٢٥

مسعود وعبد الله بن سلام وهم الراسخون فى العلم، وعلى آثارهم اقتفينا وبقولهم اهتدينا وعلى سيرهم اعتمدنا وعلى مناهجهم سلكنا.

الإمام الربيع بن حبيب:

أبو عمرو الربيع بن حبيب الفراهيدى أحد أئمة الحديث وصاحب المسند الصحيح، من أهم تلاميذ الإمام جابر بن زيد وأبى عبيدة، نشأ بعمان ثم انتقل إلى البصرة طلباً للعلم وعاش قبل ١٥٠هـ، وقيل إنه أدرك جابر وهو شاب. وصفه أبو عبيدة كما ذكر أبو سفيان محبوب بن الرحيل عندما ذكر الربيع لأبى عبيدة قال: هو تقينا وأميننا وثقتنا، وقيل إنه كان المتصدر لحلقات العلم والفتيا بعد الإمام جابر رحمه الله. كما كان الإمام الربيع مرجع الأباضية فى تنظيم أعمالهم فكانوا يرسلون إليه بزكاتهم ليقوم هو بتوزيعها على أهل الولاية من المسلمين أى الأباضية كما كان مرجع فتواهم.

وذكرت المصادر الأباضية أن الربيع بن حبيب ألف كتاب الجامع الصحيح فى القرن الثانى الهجرى وهو الكتاب المعتمد عندهم فى فقه السنة والحديث، ويقولون إنه أعلى قيمة وأثبت سنداً من البخارى ومسلم لأنه ثلاثى السند. ولهذا كان المسند المسمى الجامع الصحيح هو عمدة الأباضية فى الحديث، ويعتبره الأباضية حتى اليوم هو أصح الكتب بعد القرآن الكريم فى تفسير العقائد والشرائع وذلك لإسناده الدقيق والصحيح وثقاة رجاله من الرواة ولقربه من الصحابة والتابعين ونقله المباشر عن الإمام جابر وأبى عبيدة وكبار الصحابة.

وقد رتب هذا المسند العلامة أبو يعقوب الوارجلانى رحمه الله وضم إليه المرتب من الأحاديث التى احتج بها الربيع على المخالفين فى مسائل الاعتقاد. كما يشير هذا المسند إلى مدى التزام المدرسة الأباضية بالكتاب والسنة وأثر السلف الصالح من الأمة.

الإمـام محمـد بـن يوسـف أطفـيش: (١٢٣٦-١٣٣٢هـ) الموافـق (١٨١٨-١٩١٤م)

هو إمام المدرسة الأباضية الحديثة بالمغرب العربى، وصفه خير الدين الزركلى فى كتابه الأعلام بقوله: محمد بن يوسف أطفيش الجزائرى علامة بالتفسير والفقه والأدب، إباضى المذهب، مجتهد، وكان له أثر بارز فى قضية بلاده السياسية ويدل على وطنية صحيحة.

وتصفه الكتب الأباضية الحديثة بأنه قطب الأئمة لاشتهاره بسعة العلم ودقة النظر وصدق الحكم وكمال الخلق الذى زينه بالورع، والتواضع والاستقامة وقيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونشر المذهب فى ربوع الشمال الإفريقى.

وتذكر المصادر الأباضية أن للإمام محمد أطفيش دور بارز فى الحفاظ على التراث الأباضى الأصيل فى العقائد وأصول الفقه وأن مؤلفاته فى فروع الفكر الأباضى بلغت أكثر من مائة كتاب بين مخطوط ومطبوع ومشروح وقيل ثلاثمائة منها:

١. **كتاب شرح النيل:** من أهم شروحه الفقهية. طبع فى عشرة أجزاء بالقاهرة بين أعوام ١٨٨٧إلى ١٩٢٩. وطبعة أخرى فى دار الفتح بيروت ١٩٧٤ فى ١٧ مجلد. وقد أظهر هذا الشرح مقدرة القطب على التحقيق والشرح والاستيعاب لأصول الفقه وفروعه وأقوال المدارس الفقهية المختلفة.
٢. **قاموس الشريعة:** ويقع فى أكثر من تسعين مجلداً، وقامت بعض المؤسسات الثقافية فى الجزائر وعمان بطبع العديد من أجزاء هذا الكتاب الضخم.
٣. **بيان الشرع:** ويقع فى أكثر من سبعين جزءاً ويعتبر شرحاً مختصراً لكتاب قاموس الشريعة، وقد شرعت سلطنة عمان فى طبعه بإشراف وزارة التراث القومى والثقافة.

٤. **منهج الطالبين:** ويقع فى عشرين جزءاً فى مسائل الفقه وفروعه، وأصول الأباضية السياسية والاعتقادية.
٥. **الحجة فى بيان التوحيد بلا تقليد:** وفيه عالج مسائل علم الكلام، ومبادئ المتكلمين والتى اعتمد الأباضية فى مذهبهم عليها فى الدفاع عن مذهبهم ومن أقواله: الحق ما نحن عليه، والباطل ما عليه خصومنا؛ لأن الحق عند الله واحد ومذهبنا فى الفروع صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفينا خطأ يحتمل الصواب.
٦. **شرح عقيدة تبغورين:** مخطوط لم ينشر بعد.
٧. **رسالة فى الرد على الشيخ محمد كامل:** بين مصطفى بن محمود الطرابلسى وصاحب كتاب الفتاوى الكاملية مخطوط ضمن مجموعة الرسائل والردود. مكتبة جربة بتونس.
٨. **تفقيه الغامر بترتيب لفظ موسى بن عامر:** طبعة داود بن إبراهيم بن داود اليسجنى ١٣١٩.
٩. **كتاب المعلقات:** مخطوط، طبع المكتبة الوطنية بالجزائر.
١٠. **كتاب الرسم فى تعليم الخط :** المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٩هـ.
١١. **جامع الشمل فى حديث خاتم الرسل:** المكتبة البارونية ١٣٠٤هـ.
١٢. **وفاء الضمانة بأداء الأمانة:** مطبعة الأزهار البارونية، القاهرة ١٣٢٦هـ.

وتصف المصادر الأباضية مدى تنوع آراء القطب محمد أطفيش بين الفقه والسياسة والأخلاق والأصول، ويروا أن القطب لم يكن فيلسوفاً أو مفكراً سياسياً بل كان فقيهاً وعالماً فى أصول العقائد، وأنه لم ينظر إلى السياسة كعلم نظرى بل تغيير عملى وتطبيق فعلى لمبادئ الحرية والمساواة وتحقيق العدالة الاجتماعية وفق التعاليم والمبادئ الشرعية.

والقطب محمد أطفيش كثير الاهتمام بفهم الطبيعة الإنسانية واستيعاب آراء الفرق والمذاهب الكلامية إلى جانب النظرة التكاملية لمسائل الاعتقاد والفقه وتطبيقها العملى وفق مبدأ وجوب الإمامة ونصب الإمام وفى ذلك جاء قوله: إن الاتفاق العام على قضية لا يمكن حصوله لاختلاف الأهواء والأغراض بين الناس فحينئذٍ يلجأ إلى الأخذ بمبدأ الأغلبية الصائبة، ومن أبى ففاتن وفتنته باغية، لأن الطبيعة الإنسانية لا تخلو من الإعوجاج والتطرف السلبى من أجل تحقيق الأغراض الخاصة بأية وسيلة حتى بإنكار حق وقبول باطل، وفى هذه الحالة يجب حسم الموقف بالقوة المشروعة ويصبح الزجر ضرورياً حتى تفئ الباغية إلى أمر الله تعالى.

ويؤكد الإمام أطفيش فى مؤلفاته ومواقفه على مجمل قول الأباضية فى أن الإمامة فرض واجب لأنها ضرورية من أجل تطبيق أحكام الشريعة، ونشر العدالة بين الرعية، والعدل فى توزيع الثروات ومحاربة المرتدين وأن فى هذا الرأى يتفق مع الأباضية غالبية المذاهب والفرق الإسلامية فى ضرورة نصب الإمام . ومن المؤلفات التى تم طبعها ونشرها حديثاً للإمام القطب محمد بن يوسف المصعبى أطفيش:

١. **تيسير التفسير للقرآن الكريم:** نشر وزارة التراث القومى والثقافة. سلطنة عمان ـ القاهرة ١٩٨١.
٢. **شرح عقيدة التوحيد:** نشر وزارة التراث القومى والثقافة. سلطنة عمان ١٤٠٣-١٩٨٣.
٣. **كشف الكرب:** نشر وزارة التراث القومى والثقافة. سلطنة عمان ١٤٠٥-١٩٨٥.
٤. **المذهب الخالص المنوه بالعلم القالص:** مطبعة البعث. قسنطينة ١٤٠٠-١٩٨٠، وطبعة أخرى بسلطنة عمان نشر وزارة التراث ١٩٨٥.
٥. **شامل الأصل والفرع:** جزآن، المطبعة السلفية بمصر، ١٣٤٨هـ، ١٩٢٩م.

٦. **إزالة الاعتراض عن محقى آل أباض:** طبع وزارة التراث القومى والثقافة، سلطنة عمان. مسقط، ١٩٨٢.

الإمام نور الدين السالمى (١٢٨٦-١٣٣٢هـ):

هو العلامة المحقق المجتهد أبو محمد نور الدين عبد الله بن حميد بن سلوم بن عبيد بن خلفان بن خميس السالمى. ولد السالمى بالحوقين من أعمال الرستاق بوسط سلطنة عمان عام ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٦م، وتوفى عام ١٣٣٢هـ الموافق ١٩١٢م. عن عمر يناهز السادسة والأربعين تقريباً. حدد الإمام السالمى أهداف مهمته فى تأصيل قواعد المذهب والدفاع عن حياض الإسلام والزود عن تعاليمه، والتقريب بين المذاهب والدعوة إلى الوحدة والاعتصام، والتزود بجميع العلوم والمعارف.

ومن أجل ذلك انتقل منذ نشأته إلى حلقات العلم بمدينة الرستاق وتتلمذ على علمائها مثل الشيخ راشد بن سيف المالكى والشيخ صالح بن على بن ناصر بن عيسى الحارثى أشهر علماء المنطقة الشرقية. فدرس على أيديهم علمى المعقول والمنقول والحديث والتفسير والتأويل وأصول الدين والفقه والنحو والمعانى والمنطق والبيان، حتى أصبح السالمى فى فترة قصيرة عالم عصره وأوحد زمانه، وأشهر علماء الأباضية فى المشرق العربى.

وصفه صاحب كتاب نهضة عمان بقوله: كان رضى الله عنه الركن الأعظم فى إعادة الإمامة إلى عمان ونيلها المرتبة العليا. وأنه كان شديد الحرص على النهوض بالأمة العمانية واستعادة مجدها. كما عرف عنه الغيرة الشديدة على محارم الإسلام وأنه كان دائماً ينطق بالحق فى شجاعة وكثير الرد على من خالف ملة الإسلام، وكان مهموماً بأحوال الأمة الإسلامية، وكان خطيباً بارعاً، وكان جواداً سخياً، يسعى لكل خير يصلح الأمة ويجمع الشمل، كثير الدعاء

من أجل الخير وجمع الشمل وتأليف القلوب، وكان كثير التألم لواقع المسلمين الأليم وكثرة الاختلاف والتنافر وكثرة المكائد والمظالم.

وتحقيقاً لإمامة العلم فى المشرق قدم الإمام السالمى العديد من المؤلفات والشروح فى مختلف فروع العقيدة تدور حول أصول الدين والفقه وأصول الحكم والتفسير والتأويل وعلوم البلاغة والحديث ومتطلبات الإمامة واقسامها وآراء الفرق حولها ومن هذه المصنفات والكتب:

١ـ **كتاب مشارق أنوار العقول:** ويشتمل على العديد من أقسام العلم فى أصول الدين وفروعه طبع بسلطنة عمان مع تعليق الشيخ أحمد بن حمد الخليلى مفتى عام السلطنة وتحقيق د. عبد الرحمن عميرة عام ١٩٨٩ فى جزأين. وقد تضمن آراء السالمى فى العلم وأقسامه، والسؤال فى باب الجائز والواجب والمستحيل، وحقيقة الاجتهاد والفتوى والتفسير والتوحيد والنسخ والرؤية وجواز بعث الرسل، وآراء الأباضية والفرق الكلامية فى مسائل الشفاعة والتقية والولاية والبراءة والوعد والوعيد والموت والحساب والخلود والقدر وحقيقة الإيمان والإسلام وغيرها من قضايا الاعتقاد ومسائل الكلام.

ويعتبر كتاب المشارق من أهم كتب علم الكلام المعاصر والمعبرة عن آراء المذهب الأباضى وعلاقته بالمذاهب والفرق الأخرى. وهو دعوة ومحاولة لإثبات الحقائق الدينية وبيان ضرورة الفكر الصحيح لسلامة العقول والقلوب وإنقاذ الأمة من خطر الافتراق وعلل الاختلاف، وفيه تحذير من خطر الركون إلى الفرع واعتباره أصلاً، وإهمال الأصل واعتباره فرعاً فيأتى الخطأ فى الفهم والتهور فى السلوك.

٢ـ **اللمعة المرضية من أشعة الأباضية:** طبع بوزارة التراث القومى والثقافة بسلطنة عمان ١٩٨١، وفيه استعرض السالمى أصالة التراث الأباضى منذ نشأته فى القرن الثانى الهجرى وحتى القرن الرابع

عشر وأهم أعلام الفكر الأباضى ومؤلفاتهم فى الفقه والعقائد ابتداءً من الإمام جابر بن زيد (٢١-٩٦هـ) ومن أخذوا العلم والإمامة عنه فقال السالمى فى اللمعة المرضية من أشعة الأباضية: وقد أخذ العلم عن جابر ضمام بن السائب وأبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة وحيان الأعرج، وأبو نوح صالح بن الدهان وقد تفجرت ينابيع العلم والحكمة من هؤلاء التلامذة وكان أوسعهم علماً أبو عبيدة وضمام.

وقد انتشرت العلوم فى مشارق الأرض ومغاربها عن أبى عبيدة وعنه أخذ حملة العلم إلى عمان والمغرب وخراسان وحضرموت وتلامذة أبى عبيدة لا يحصون عدداً، وأجلهم قدراً الربيع بن حبيب البصرى وإليه انتهت رئاسة العلم بعد أبى عبيدة، ثم إلى أبى أيوب وآيل بن أيوب الحضرمى، ثم إلى محبوب بن الرحيل، ثم انتقل العلم إلى عمان بواسطة حملته الأربعة من أئمة العلم، منير بن النير، وبشير بن المنذر، وموسى بن أبى جابر، ومحمد بن المعلا. وإلى خراسان بواسطة أبى يزيد الخوارزمى وهاشم بن عبد الله الخراسانى ومن علماء خراسان نصر سليمان ومحمود بن نصر وأبو منصور وأبو غانم بشر بن غانم وغيرهم. وحمل العلم عن أبى عبيدة إلى المغرب كل من أبو الخطاب المعافرى وعبد الرحمن بن رستم، وعاصم السدراتى وإسماعيل بن درار وغيرهم.

ثم كثر علماء المذهب بالمغرب وعمان وحضرموت فلا يحصون عدداً، ومن أئمتهم بالعراق عبد الله بن وهب الراسبى إمام أهل النهروان، ثم المرداس بن حدير الشهير بأبى بلال رضى الله عنه وعنهم وكانت له سير وأخبار وكرامات تذهل العقول. وكان من أئمتهم بحضر موت طالب الحق عبد الله بن يحيى وسليمان بن عبد العزيز وحمد بن سليمان. وكان من أئمتهم بالمغرب أبو الخطاب المعافرى وأبو حاتم الأول وعبد الرحمن بن رستم وابنه عبد الوهاب وابنه أفلح وابنه محمد وابنه يوسف وهو حاتم الثانى. وكان من أئمتهم فى عمان الجلندى بن مسعود والوارث بن كعب وغسان بن عبدالله، وعبد الملك بن حميد، والمهنا بن جيفر والصلت بن مالك والخليل بن

شاذان، وراشد بن سعيد وراشد بن الوليد وسعيد بن عبد الله وناصر بن مرشد وغيرهم من أئمة العلم والعدل كثير.

٣- **شرح طلعة الشمس على الألفية فى علم أصول الفقه**: وهو جزآن سماها السالمى بشمس الأصول وهى منظومة جليلة القدر فى التعريف بالناسخ والمنسوخ حول أصول الفقه وثمرته وأقسام الوحى والتواتر والآحاد. انتهى السالمى من تأليفه فى عام ١٣١٧هـ، وطبع بسلطنة عمان وزارة التراث القومى والثقافة ١٤٠٥-١٩٨٢.

٤- **بهجة الأنوار**: سماها السالمى شرح أنوار العقول فى التوحيد وقد طبع بهامش شرح طلعة الشمس على الألفية. طبع وزارة التراث القومى والثقافة. سلطنة عمان.

٥- **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**: جزآن فى مجلد واحد. فى سيرة أحوال المذهب وأهله، وختمه بالحديث عن ملوك بنى نبهان المتأخرين. وفى الجزء الثانى تناول إمامة الإمام ناصر بن مرشد اليعربى.

٦- **جوهر النظام فى علمى الأديان والأحكام**: أربعة أجزاء طبع بمطابع النصر بالقاهرة. تحقيق أبو إسحق إبراهيم أطفيش الجزائرى الميزابى.

٧- **شرح الجامع الصحيح**: وهو مختصر لمسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدى. ثلاثة أجزاء.

٨- **مدارج الكمال**: أرجوزة فى فروع الفقه أكثر من ألفى بيت وهى نظم مختصر الخصال للإمام أبى إسحق الحضرمى.

٩- معارج الآمال: شرح الأرجوزة مدارج الكمال. لشرح الفوائد فى ثمانية أجزاء. تم طبعه بوزارة التراث القومى سلطنة عمان فى سبعة عشر جزءاً.

١٠- غاية المراد فى نظم الاعتقاد: أرجوزة للسالمى شرحها سليمان بن محمد الكندى.

١١- المنهل الصافى فى العروض والقوافى: فى شكل أرجوزة تتألف من حوالى ثلاثمائة بيت.

١٢- الحجج المقنعة فى أحكام صلاة الجمعة: طبع بوزارة التراث القومى والثقافة. سلطنة عمان، وهى بهامش كتاب شرح طلعة الشمس على الألفية. تم نسخها عام ١٣٠١هـ بقلم سعيد بن خميس بن حمد البهلوى وطبعة سلطنة عمان ١٤٠٥-١٩٨٥.

١٣- شرح بلوغ الأمل فى المفردات والجمل: فى قواعد الإعراب. عرض فيه السالمى بعض آراء ابن هشام صاحب المغنى. طبعة وزارة التراث القومى. سلطنة عمان ١٤٠٦-١٩٨٦.

١٤- الفتاوى: وهو الجزء الرابع من الجوابات فى حل المشكلات وهو عرض لما أشكل على تلميذه أبى زيد عبد الله بن محمد الريامى.[١]

---

[١] - السالمى: مشارق أنوار العقول. تحقيق عبد الرحمن عميرة. مكتبة الاستقامة. سلطنة عمان، طبعة دار الجيل بيروت. ١٤٠٩-١٩٨٩

ثانياً: إمامة الظهور فى المغرب العربى

ركزت المصادر الأباضية الحديثة على إبراز أصالة الفكر الأباضى ودوره الحضارى منذ أن نجح المذهب واستطاع أن يتحدى الحواجز التى فرضتها الدولة الأموية والعباسية، ووجد أنصاراً ملتزمين بتطبيق أصوله التى تعكس جوهر الإسلام الأصيل، وبالتالى ظهرت دولاً مستقلة تحت راية إمامة الظهور الأباضية فى عمان وحضرموت وشمال إفريقية.

وذكرت المصادر أنه بفضل الدور الإيجابى للمدرسة الأباضية وحملة العلم استطاع عبد الرحمن بن رستم عام ١٦٠هـ من تأسيس أول دولة جزائرية إسلامية على المذهب الأباضى واتخذت تاهرت عاصمة لها. وكان الإمام عبد الرحمن بن رستم من أبرز تلاميذ الإمام أبى عبيدة وأحد حملة العلم عنه. وقد استمرت الإمامة الأباضية الرستمية أكثر من مائتى عام ١٦٠هـ إلى ٢٩٦هـ تقريباً.

وصف يحيى بو عزيز الإمامة الأباضية فى الجزائر وقت قيام لدولة الرستمية بقوله: كان نظام الحكم فى هذه الإمارة شورياً يطبق ائمتها أحكام القرآن والسنة، وسعوا جهودهم لإصلاح الأوضاع فانتشرت الثقافة العربية بشكل ملحوظ، وأصبحت مدينة تيهرت العاصمة ملتقى القوافل التجارية ووفود طلاب العلم. ولقد حققت الدولة الرستمية فى الدولة التى حكمت فيها كثيراً من الإزدهار فانتشر العدل وأمنت السبل وكفلت الحريات وانتشرت دور العلم والعبادة وعمرت المساجد وانتشر الرخاء وعمت الأخلاق الإسلامية التى وقفت بحزم لمحاربة الرذيلة وما تجره حياة الرفاهية من مساوئ الأخلاق وانحلال السلوك. وأكد بو عزيز أن الأئمة الأباضية الرستميين كانوا يتمتعون بقسط وافر من العلم والورع والتقوى، وقد استمر دور الأئمة حتى بعد سقوط الدولة الرستمية حين التجأ الأباضية إلى الواحات وكان لهم فى بعضها حضارة مزدهرة، حتى انحسر الأباضية فى وارجلان ووادى ميزاب.

بدأت الإمامة الأباضية فى المغرب العربى تتحول من إمامة الكتمان إلى إمامة الدفاع والشراة خلال العديد من الثورات التى بدأت فى ليبيا وجبل نفوسة، ابتداءً من عام ١٣٠هـ عندما شعر الأباضية فى ليبيا بقوتهم واستعدادهم لمواجهة ولاة بنى أمية شرعوا فى تولية الإمام عبد الله بن مسعود النجيبى ولكن سارع عامل طرابلس إلياس بن حبيب إلى قتل الإمام عبد الله بن مسعود، عندئذٍ بدأت الثورة من أجل إمامة الظهور فى ليبيا على مراحل ثلاث هى: ثورة الحارث وعبد الجبار ثم ثورة أبى الخطاب وثورة أبى حاتم.

* **ثورة الحارث وعبد الجبار:** سببها كثرة المظالم وإهدار الحقوق والاستهانة بأمور العدل وعدم الالتزام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقتل الإمام عبد الله بن مسعود ومطالبة الأباضية بإقامة الحد على القاتل وهو عبد الرحمن بن حبيب شقيق والى طرابلس إلياس بن حبيب. على إثر ذلك اجتمع حملة العلم من الأباضية واختاروا الحارث بن يكن إماماً وعبد الجبار بن قيس قاضياً له، فتعاون الإثنان على إقامة العدل ومسايرة حياة الخلفاء الراشدين فاستقامت لهم الأحوال واستبشر الناس خيراً. فلما ذاع صيتهما وقويت شوكتهما بذر أعداء الأباضية بذور الخلاف بينهما وبين أباضية الجزائر فوقعت الحروب بينهما وأرسل عبد الرحمن جيشاً تلو الآخر حتى قتل كل من الحارث وعبد الجبار فى مجلس الحكم عن طريق الخديعة والغدر.

* **ثورة أبى الخطاب بطرابلس والقيروان:** لما انتشر المذهب الأباضىَ فى ربوع ليبيا عن طريق حملة العلم وشعر الأباضية بإمكان إعلان إمامة الظهور مرة ثانية، اجتمعوا على تولية أبى الخطاب من غير أن يكون له علم بذلك فرفض الإمامة خوفاً من مسؤلياتها، وأمام تمسك القوم بإمامته اشترط قبول الإمامة بشرط ألا يذكر القوم أسباب الاختلاف والافتراق بذكر مقتل الحارث وعبد الجبار خوفاً من تفرق الكلمة فتمت البيعة لأبى الخطاب عام ١٤٠هـ،

ودخل الأباضية طرابلس فى جماعات كثيرة منادين بقوة لا حكم إلا لله، وأعلنت الإمامة الأباضية فى ليبيا.

وحرص الإمام أبى الخطاب على رفع الظلم وإقامة العدل ونشر الأمن وإحياء سيرة الخلفاء الراشدين، ففرح الناس بإمامته واستظلوا برعايته، وأسند أبو الخطاب مهمة القضاء إلى أبى درار الغدامسى وبدأ فى نشر المذهب فى المناطق المجاورة كالقيروان وقابس ففتح القيروان وترك بها جماعة من حملة العلم لنشر العدل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتولى الإمامة الأباضية بها عبد الرحمن بن رستم.

ولما علم الخليفة المنصور بسيطرة الأباضية على القيروان وإعلان إمامة الظهور بها أرسل جيشاً بقيادة والى مصر محمد بن الأشعث الذى أرسل عيونه لاستطلاع قوة الأباضية فعلم أنهم أسود بالنهار رهباناً بالليل وأنهم يتمنون الموت فى سبيل الله كما يتمنى المريض الشفاء. عندئذٍ لجأ محمد بن الأشعث إلى الحيلة وتظاهر بالرجوع إلى مصر ثم عاد إليهم ليلاً وأدرك جند أبى الخطاب بعد تفرقهم فهزمهم واستشهد أبو الخطاب مع جند كثير من جيشه.

إمامة عبد الرحمن بن رستم:

بعد مقتل أبو الخطاب واستيلاء محمد بن الأشعث على طرابلس ولى عليها من سام أهلها سوء العذاب، فعاد الأباضية إلى إمامة الكتمان واستمر ذلك حتى عام ١٤٥هـ، ولما قويت شوكة الأباضية تحولوا إلى إمامة الدفاع وأعلنوا ضرورة إقامة العدل وإزالة الظلم واتفقوا على مبايعة الإمام أبى حاتم يعقوب بن لبيب المعزوزى إماماً للدفاع. فسار أبو حاتم سيرة العدل والاستقامة، فلما سمع بذلك عامل بنى العباس أرسل إليهم جيشاً فتقابلا قرب طرابلس وفى هذه المعركة انتصر جيش الأباضية، وبسط الأباضية نفوذهم على طرابلس ونواحيها، وأقاموا العدل وسيرة الخلفاء الراشدين واستمرت إمامتهم

بها حتى عام ١٥١هـ، فأعلنوا إمامة الظهور وحاول أبو حاتم نشر المذهب ونفوذه على القيروان، وفى هذه الأثناء أرسل الخليفة المنصور العباسى جيشاً عظيماً قضى به على إمامة أبى حاتم الذى استشهد مع طائفة من أصحابه.

ولقد اهتمت المصادر الأباضية فى مختلف عصورها بسرد وقائع إمامة الظهور الأباضية بالمغرب العربى والتى كانت تسمى بالإمامة الرستمية بتيهرت، إذ فى عصر الإمامة الرستمية ظهر الاختلاف الثانى حول الإمامة كما ظهرت فكرة تعدد الأئمة أى وجود إمامين فى وقت واحد وفى مكانين مختلفين وسبب ذلك أنه عند وفاة الإمام السمح بن عبد الأعلى فى جبل نفوسه سارع البعض إلى مبايعة ابنه خلف خلفاً له قبل موافقة حملة العلم وإمام الأباضية ولكن خلف تمسك بالإمامة والمبايعة بحجة أن جبل نفوسه يبعد عن مقر الإمامة ولا دخل للإمام فيه.

ولكن الإمام أرسل إلى أهل جبل نفوسة بقرار عزل خلف، فزاد عناد خلف فما كان من الإمام إلا أن أمر بتولية الإمام أيوب بن العباس الذى اشتهر عنه بالشدة والبطش فاستكان خلف حتى وفاة الإمام أيوب وتولية أبى عبيدة عبد الحميد خلفاً له فعاود خلف ثورته وجمع الأتباع الذين اقتنعوا بفكرة استقلال الجبل عن الإمامة الرستمية. ودار الصراع بين إمام الجبل وإمام تيهرت طوال إمامة عبد الوهاب بن رستم وابنه أفلح.

ولما بويع أفلح بن عبد الوهاب إماماً للدولة الرستمية بتيهرت انتشر الأمن والعدل واستقرت الأحوال لما أبداه الإمام من التزام بكتاب الله وسنته وسيرة صحابته، والحرص على المشاورة والتحلى بالورع والتقوى وإحياء دروس العلم بنفسه، فقصده طلاب العلم يستمعون له، واشتهرت عنه الرسائل والنصائح لعماله ومنها قصيدته:

العلم أبقى لأهل العلم آثاراً

يريك أشخاصهم روحاً وأبكاراً
حتى وإن مات ذو علم وذو ورع
ما مات عبد قضى من ذاك أوتاراً
وذو حياة على جهل ومخمصةٍ
كميت قد ثوى فى الرمس إعصاراً

وقبل إعلان إمامة الظهور الرستمية بتيهرت، ثارت القيروان على الإمام عبد الرحمن بن رستم فخرج مستخفياً مع ابنه عبد الوهاب متوجهاً إلى المغرب، وتحصن مع أصحابه بجبل سوفجج وكثر أتباعه من الأباضية والعلماء واستمرت أحوالهم على إمامة الكتمان حتى أمن عبد الرحمن بن رستم ملاحقة ابن الأشعث فنزل إلى تيهرت مع جماعته من العلماء وشيوخ القبائل واستقروا بها حتى تحولت إلى مدينة متكاملة زاخرة بالعمارة والمساجد والديار وقويت شوكتهم فاجتمع حملة العلم واختاروا الإمام عبد الرحمن بن رستم إماماً للظهور بتيهرت، وكان من أسباب اختياره مكانته العلميه وكفاءته السياسية بالإضافة إلى ضعف شوكته فليس له قبيلة تحميه، فكان إعلان إمامته وبيعته عام ١٦١هـ.

وتسامع الناس بعدله وحسن سيرته واستقامة سلوكه وغزارة علمه فقصده الناس من أنحاء المغرب العربى، فاتسع عمران تيهرت وثرائها حتى سميت عراق المغرب. ولما وصل خبر إقامة إمامة الظهور بالمغرب وتولية عبد الرحمن إماماً فرح الإمام أبو عبيدة بالمشرق وقال قولته الشهيرة: الآن أذن الله بارتفاع الحق والحمد لله إذ كان على يد غصن منى. وأراد أبو عبيدة مساندة ولاية عبد الرحمن فجمع إعانة قدرها ثلاثة أحمال من الذهب وأرسلها إليه، فأمر عبد الرحمن بتقسيمها إلى ثلاثة: قسم للجهاد وقسم للعمارة وقسم لإعانة الفقراء.

واستمرت إمامة عبد الرحمن بن رستم حوالى عشر سنوات حتى توفى عام ١٧١هـ. وقبل وفاته ترك الإمامة من بعده شورى كما

فعل عمر بن الخطاب، فجعلها فى ستة أو سبعة من أشهر العلماء والأئمة فيهم ابنه عبد الوهاب بن رستم. وعند الاختيار انحسرت المنافسة بين مسعود الأندلسى وعبد الوهاب بن عبد الرحمن، ولكن خوف مسعود من مسؤليات الإمامة أتاح الفرصة كاملة لمبايعة عبد الوهاب إماماً للدولة الرستمية.

إمامة عبد الوهاب بن رستم:

وعند عقد البيعة لعبد الوهاب انفرد ابن فندين وأعلن أن المبايعة مشروطة بشرط مشاورة الجماعة ولكن أهل الحل والعقد وعلى رأسهم مسعود الأندلسى قالوا: لا نعلم شرطاً فى الإمامة سوى الحكم بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم). عندئذٍ سارع ابن فندين لمبايعة عبد الوهاب عسى أن ينال حظوة عنده. وبعد استقرار الأمور واتساع شهرة عبد الوهاب فى العدل وحسن السيرة، أعلن ابن فندين ثورته وردد أن الإمام يستبد بالرأى ولم ينفذ شرط المشورة لجماعة أهل الحل والعقد واستمر ابن فندين فى جمع الاتباع والموالين له والمؤيدين لرأيه فى أن عبد الوهاب أخلّ بشرط الولاية وأنه تولى الإمامة وفى الأمة من هو أفضل منه.

ولما قويت شوكة ابن فندين أمر جماعته بالخروج وحمل السلاح، ولكن الإمام عبد الوهاب كرر عليه إنذاراته بينما أصر ابن فندين على خلافه ورأيه، فاستشار الإمام عبد الوهاب أئمة المشرق وأرسل إلى الإمام الربيع بن حبيب وأصحابه فكان جوابهم صحة إمامة عبد الوهاب وثبوتها وقالوا بجواز أن يتولى المفضول مع وجود الأفضل وذكروا فى رسالتهم العديد من أمثلة ولاية الصحابة والخلفاء الراشدين. وأعلن ابن فندين الحرب على الإمام عبد الوهاب وحاول دخول العاصمة بجماعته، ولكن أهل العاصمة تصدوا له وأخمدوا ثورته وقتلوا ابن فندين وكثير من جماعته، وفى هذه المعركة كان لأفلح بن عبد الوهاب دوره البارز فى المقاومة والجهاد.

وبعد انتهاء الثورة الأولى على إمامة عبد الوهاب بن رستم وهى ثورة ابن قندين وجماعته بدأت الثورة الثانية من جماعة الواصلية بتيهرت وغالبيتهم من قبيلة زناتة، وكان من أسباب ثورتهم الحمية القبلية والغيرة الوطنية إذ ساءهم أن يحكمهم إمام من غير قبيلتهم أو وطنهم أومذهبهم. فقرروا الخروج على الإمام عبد الوهاب، وأرسل إليهم الإمام يناشدهم الهدوء وترك الفتنة فأبوا، وطلب المناظرة والإقناع بالحجة فأبوا كذلك إلا الحرب، وبدأت المعارك سجالاً بينهم ولما شعر الإمام بقوة الواصلية وكثرة جموعهم طلب العون والمدد من أهل جبل نفوسه وحدد مطالبه فى أربعمائة نفر منهم مائة فارس ومائة عالم ومائة مناظر ومائة فقيه.

فلما قرأ أهل الجبل رسالته تشاوروا ثم أرسلوا إليه أربعة رجال كل واحد منهم بمائة لأنهم أفضل الرجال فى الورع والفتوى والعلم والشجاعة وكان هؤلاء الأربعة هم:

١. الفقيه الورع أبو الحسن الأبدلانى
٢. العالم المفسر محمد بن يانس
٣. المناظر البارع أبو مهدى النفوس
٤. الفارس الشجاع أيوب بن العباس

فخرج الأربعة صوب تيهرت فى شوق إلى نصرة الحق وإغاثة الأهل فلما وصلوا تيهرت ورآهم الإمام أربعة بدلاً من الأربعمائة الذى طلبهم انكسرت نفسه، ولكن بعد لقائه بهم تبدلت أحواله وسكنت نفسه، وبعث للواصلية يدعوهم للاجتماع والمناظرة أو المبارزة عند اقتضاء الحال.

وبدأ اللقاء بالمناظرة بين أبو مهدى الأباضى وعالم المعتزلة بتيهرت ولم يزل يناظره حتى أفحمه، عندئذٍ كبّر الأباضية بنصرة أبى مهدى وغلبته. ثم تقدم فارس المعتزلة للميدان وأظهر من الفروسية ما حيّر العقول ثم تقدم أبو أيوب بن العباس وأظهر من الفروسية ما أنسى عمل رفيقه ثم كانت المبارزة التى خرج أبو أيوب

من غبارها منتصراً وترك رفيقه مجندلاً على الرمال. ثم التحم القتال بين الجيشين والذى انتهى بانتصار الإمام عبد الوهاب بن رستم وانكسار شوكة الواصلية وخضوعهم للإمام، وقد أظهر الإمام أفلح بن عبد الوهاب شجاعة نادرة فى القتال أهلته بعد ذلك لتولى الإمامة بعد أبيه عبد الوهاب. وبعد استقرار الأمور وانتهاء الثورات ضد الإمامة الرستمية شرع الإمام عبد الوهاب فى نشر المذهب فى مختلف أنحاء المغرب العربى عن طريق نظام الحلقة وجلسات العلم وتطبيق قواعد العدل وأحكام الدين، وكان الإمام حريصاً على تطبيق شرط الكفاءة والتقوى لتولى المناصب القيادية فساد الأمن واستقرت الأحوال.

ولما قصد الإمام عبد الوهاب طريقه إلى الحج نزل بجبل نفوسه ضيفاً عليهم ولكنهم أخبروه بخطورة الذهاب إلى الأراضى الحجازية وتربص بنى العباس له فأدرك الإمام صواب رأيهم وأفتوه بسقوط الحج عنه ومنهم من أفتاه بإرسال من يؤدى ذلك عنه. وطلب أهالى جبل نفوسه الدخول تحت إمامته وأن يولى عاملاً من قبله فسره ذلك وقال لهم اختاروا من يليق بكم فاختاروا وزيره السمح بن عبد الأعلى الذى اعتذر لهم بحاجته إليه ولكنهم أبوا إلا هو فآثرهم على نفسه وولاه عليهم.

ولما كان الإمام عبد الوهاب بجبل نفوسه طلبت منه قبيلة هوارة مستغيثة به أن ينصرهم على من عزم الاستيلاء عليهم فنصرهم. وعند رجوعه طلب أهل جبل دمر الدخول تحت إمرته فأنعم عليهم ذلك وولى عليهم من يسير أحوالهم. واستمر الإمام فى عدله ونشاطه العلمى والسياسى إلى أن وافاه الأجل بعد أن وطد دعائم الإمامة بطرابلس وتيهرت حتى عام ١٩٥هـ.

إمامة أبى بكر بن أفلح:

ذكر سليمان البارونى عن ابن الصغير، أن المرشح للإمامة الرستمية بعد الإمام عبد الوهاب وابنه أفلح حسب رأى حملة العلم وأهل الحل والعقد هو الإمام أبو اليقظان ابن أفلح ولكنه كان غائباً بسبب سجنه فى بغداد بعد أن ألقى عليه القبض عند الحج بمكة من قبل بنى العباس. فاجتمع الشراة وأهل الشورى مرة أخرى وبايعوا أخيه أبا بكر بن أفلح رغم قلة ورعه وسوء أحواله وميله إلى حياة الترف فكان يواصل الشعراء والأدباء على غير عادة أئمة المذهب.

وكان بالمدينة رجل من وجهاء القوم يدعى ابن عرفة تزوج الإمام من أخته، كما تزوج هو أخت الإمام فأصبحا صهرين، فاكتسب ابن عرفة مكانة عند الإمام فقصده الناس والتف حوله العوام وفى هذه الأثناء رجع أبو اليقظان من المشرق بعد إطلاق سراحه من قبل أخو الخليفة العباسى والذى تولى الخلافة بعد وفاة أخيه وكان مسجوناً مع أبى اليقظان وقد أحكمت الصداقة بينهما فى السجن. ولما وصل أبو اليقظان إلى تيهرت لم يحرك ساكناً ولم يطالب بحق الإمامة ولكنه كان عوناً وناصراً لأخيه أبى بكر فى تسيير أمور الإمامة وتحقيق الاستقرار قدر الإمكان.

وعندما استفحل أمر ابن عرفة قصد الناس الإمام ونبهوه من خطره، فراقب الإمام حركات صهره وتوجس منه خيفة فاستشار بعض خاصته فأشاروا عليه بضرورة التخلص منه، فنفذ ذلك سراً ثم ظهر الأمر واتهم الإمام بقتله، فقامت فتنة عظيمة فى المدينة استمر فى إخمادها محمد بن مصالة الأباضى حوالى سبع سنين. وانتهى الأمر بالمشاورة واختيار إمامة أبى اليقظان محمد بن أفلح لإنقاذ البلاد من الفتنة فاهتم أبو اليقظان ببناء الجيش من رجال جبل نفوسه، وإنهاء الصراع بين القبائل بالصلح وأعلن الإمام العفو العام وعدم مطالبة أحد بنفس أو مال. وأقام أبو اليقظان ميزان العدل بين الجميع وانتشر الأمن حتى أنهم كانوا يشبهون إمامته بإمامة جده عبد الرحمن

بن رستم. واستمر أبو اليقظان فى إمامته مدة أربعين سنة من غير أن يحدث ما يكدر صفو الأمن حتى توفى عام ٢٨١هـ.

إمامة أبى حاتم يوسف بن أبى يقظان الرستمى:

لما توفى الإمام أبو يقظان عام ٢٨١هـ سارع الناس ينادون بابنه فى شوارع المدينة إماماً من غير انتظار لما يقرره مجلس المشاورة والحكم، ولكنه أذعن لرغبة الجمهور وخاصة أن الإمام أبى حاتم كان على سيرة أبيه فكان على علم وورع وحزم فى نفس الوقت. فأجمع الناس على مبايعته ولم يعارض سوى عمه يعقوب الذى كان طامعاً فى الإمامة.

وبعد قبول المبايعة للإمام أبى حاتم ساد الأمن والاستقرار وساد العدل، وكان الإمام محبوباً من الجميع، لكن عمه يعقوب لجأ إلى قبائل ومشايخ غير أباضية ممن أحسوا من الإمام بعض جفاء. وحاول الإمام أبو حاتم القضاء على الفتنة بنفى بعضهم ولكن الفتنة تزايدت واتسع أمرها حتى أجبر الإمام أبو حاتم على الخروج من المدينة ومبايعة عمه يعقوب.

وأعاد الإمام أبو حاتم بناء جيشه من مواليه من سكان البادية وحاول استرداد الإمامة بالقوة فقام بمحاصرة المدينة واستمر القتال بينهم مدة طويلة حتى سئم الناس منها وبدأت محاولات الصلح بينهما، وتم على مبايعة أبى حاتم وقبول توبة عمه يعقوب عن خطيئته، فاستقرت الأحوال واستتب الأمر للإمام مدة أربع عشرة سنة.

وبموت الإمام أبى حاتم بن أبى اليقظان الرستمى عام ٢٩٦هـ انحسرت الإمامة العظمى الرستمية التى كانت قائمة على العدل وقواعد الإيمان والعلم واستمرت بتيهرت وجبل نفوسه ما يقرب من قرن ونصف من الزمان وانطوت صفحة إمامة الظهور الأباضية

المتمثلة فى الإمامة الرستمية بعد أن سقطت الدولة الرستمية على يد أبى عبد الله الشيعى عام ٢٩٦هـ وهجرة فلول الأباضية إلى سدراته ووارجلان، وبعدها إلى ميزاب. وظلوا سنوات طويلة هناك فى إمامة الكتمان وفيها أسسوا مدينة لهم عام ٤٠٢هـ، كما أسسوا غرداية عام ٤٧٧هـ تحت راية زعماء الأباضية الثلاث وهم: سليمان بن يحيى، وعيسى بن علوان، وأبو جمعة.

وتصف المصادر الأباضية الحديثة دور المدرسة الأباضية الحضارى عندما تبلور لديها فكر سياسى كامل عبرت عنه إمامة الظهور والشراة والدفاع والكتمان، وأن إمامة الظهور كانت متمثلة فى الإمامة الرستمية بالمغرب العربى خير تمثيل؛ لأن الإمام عبد الرحمن بن رستم بويع لصلاحه وتقواه وأنه ممن لا عصبية له لتحميه وأنه قبل وفاته جعل الإمامة شورى من بعده كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ولم يكن يعرف أن الإمامة من بعده ستستمر فى أولاده مدة طويلة ويتصارع عليها الأئمة. ورغم هذه الوقائع فإن فرحات الجعبيرى فى بحثه عن دور المدرسة الأباضية فى الفقه والحضارة الإسلامية يقرر أنه لم يؤثر عن واحد من الأئمة أنه اتخذ ولياً للعهد يبايعه الناس قبل وفاة أبيه، إنما هى الأمة استأنست بهؤلاء الغرس فاستمرت على قبول إمامتهم لما فيهم من صلاح عدا ما وقع من الاضطراب فى آخر العهد الرستمى عندما شاخت الدولة وأوشكت على الفناء، ومع ذلك فقد بقيت الثقة فى هؤلاء إذ ما إن استقر آخر الأئمة فى وارجلان حتى أقبل الناس ليبايعوه عوض أن يقتلوه كما يقع غالباً، إلا إنه رفض لإدراكه أن ذلك ليس فى صالح الأمة ولو كان يتصرف تصرف الملوك لقبل مثل ذلك.[١]

ويذكر بكير بن سعيد أعوشت أن التاريخ يسجل للدولة الرستمية اهتمامها بترسيخ مبادئ حرية العقيدة والتسامح مع سائر المذاهب مما

---

[١] - فرحات الجعبيرى: دور المدرسة الأباضية. صـ١٠

يدل على أن المذهب الأباضى يعكس حقيقة الإسلام الجوهرى الذى يرفض القهر الدينى ويرفض الإزدواجية بين القول والعمل.[1]

وتشير المصادر الأباضية إلى تميز علماء الدولة الرستمية فى مجال الفقه والتفسير والفتوى، ومدى تواصلهم الفكرى مع زملائهم من فقهاء المشرق وانتاجهم الفكرى. وتثبت المصادر أن الإمام عبد الوهاب بن رستم قد استورد أحمالاً منها. وقالوا إن المتأمل فى هذه الفتاوى للأئمة الأباضية الرستميين عبد الرحمن وعبد الوهاب وأفلح يدرك غزارة علمهم ومدى تأصل المنهج الأباضى فى تحاليلهم للمسائل المتنوعة المعروضة.[2]

ثالثاً: انحسار الإمامة الأباضية وأسبابه

إن التلازم الضرورى بين سقوط الدولة الرستمية وإمامة الظهور الأباضية بالمغرب العربى، وبين انحسار المذهب الأباضى هو تلازم بين العلة والمعلول؛ لأن المذهب الأباضى من يومها بدأ مرحلة التراجع والدخول فى إمامة الكتمان، وقد انحسر بالفعل الآن بعد أن كان منتشراً ومؤثراً فى كثير من البلدان العربية والإسلامية.

ففى عمـــان:

التى ابتدأ بها المذهب منذ القرن الثانى الهجرى وانتشر فى غالبية مناطقها وولاياتها، وكان له دوره فى ازدهار الحركة العلمية والثقافية بها لفترات طويلة، نرى الآن انحساراً للمذهب فى كثير من هذه المناطق والولايات.

وفى زنجبـار:

---

[1] - بكير بن سعيد أعوشت: قطب الأئمة محمد أطفيش. صـ٢١-٢٢

[2] - فرحات الجعبيرى: دور المدرسة الأباضية. صـ١٧-١٩، نقلاً عن الجناوني فى كتاب الوضع، والدرجينى فى الطبقات جـ١، صـ٥٦-٥٧، جـ٢، صـ٤٥٥، والشماخى فى السير. صـ٤٣١.

التى كان غالبية سكانها على المذهب الأباضى وكان للأباضية بها دولة ملكية وإمامة مذهبية تابعة للإمامة فى عمان، وكان لها دورها البارز فى نشر الثقافة الإسلامية فى جزر المحيط الهندى وسائر بلاد إفريقية، فقد انحسرت الإمامة المذهبية بها بعد تدخل الدولة الاستعمارية وإعلان استقلالها إذ كانت سلطنة زنجبار تكون مع عمان قوة رادعة لحماية الثغور الإسلامية على ساحل المحيط الهندى.

وفى ليبيا:

التى كان غالبية سكانها على المذهب الأباضى لفترات طويلة وطوال حكم الإمامة الرستمية فقد انحسر المذهب بها بعد انحسار إمامة الظهور الأباضية ولم يبق إلا فى جبل نفوسه. بعد أن كانت الإمامة والمذهب مستمران فى ثلاثة أئمة بين ١٣٥هـ إلى ١٥٥هـ. وكان لليبيا فى عهد الإمامة نشاط ثقافى واقتصادى ملموس منذ القرن الثالث الهجرى وحتى القرن العاشر متمثلاً فى علماء الأباضية وحملة العلم الذين كان لهم مؤلفاتهم فى علوم الدين والفقه والتفسير ومسائل الشريعة، كما كان لليبيا فى زمن الإمامة نشاط ثقافى واقتصادى واسع مع السودان وتشاد وغيرها من البلدان التى انتشر بها الإسلام.

وفى تونس:

التى كان أغلب سكان المناطق الجنوبية بها على المذهب الأباضى، فقد انحسر بها ولم يبق إلا فى جزيرة جربة الآن، بعد أن كان لعلماء المذهب دور علمى بارز متمثل فى (جمعية العلماء الأباضية السبعة) التى شاركت فى تأليف أكبر موسوعة فى الفقه الأباضى، سميت بديوان الأشياخ، كما ساهموا فى تأليف ديوان العزابة الذى اشترك فى تأليفه عشرة من العلماء، وكان ذلك منذ

القرن الخامس الهجرى. وقد ساهم علماء تونس من الأباضية فى نشر الثقافة الإسلامية فى العديد من البلاد الإفريقية مثل غانا ومالى.

وفى الجزائـر:

التـى كـان أغلـب سـكانها علـى المـذهب الأباضـى طـوال فتـرة الإمامـة الرستمية بين ١٦٠هـ إلـى ٢٩٦هـ. وتعاقب عليها ستة من كبار أئمة الأباضية الرستميين والتى أمتد نفوذها وتأثيرها إلى غالبية المناطق الجزائرية وجنوب تونس والجناح الغربى لليبيا فى جبل نفوسه. فقد انحسر المذهب فى غالبية هذه المناطق ولما انقرضت الدولة الرستمية من تيهرت وسط الجزائر انحسرت الدعوى الأباضية فى جنوبها حيث أقاموا هناك حضارة فى نواحى وارجلان وسدراته وبلاد أريغ وجبال بنى مصعب المسماة الآن بوادى ميزاب وهى ولاية غرداية حالياً بالجنوب الجزائرى. وفى هذه المناطق، كان للأباضية بها حضارة مطبوعة بطابع أباضى فى مختلف جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية.

وفى بلاد خراسان:

كان للأباضية تواجد ضعيف ورغم ذلك اشتهر بها أحد حملة العلم وهو أبو غانم الخراسانى صاحب المدونة، وقد انحسر المذهب من هذه المناطق تماماً هذا إلى جانب انحسار المذهب الذى كان متواجداً فى بعض جزر البحر المتوسط مثل جزيرة الباليار، وفى إفريقية السوداء والتى ساهم فى نشر المذهب بها الإمام أبويعقوب يوسف الوارجلانى.

أما أسباب هذا الانحسار والضعف الذى أصاب المذهب الأباضى فيرجع إلى:

أولاً: الضربات المريرة والملاحقات المستمرة من جانب خلفاء بنى أمية وبنى العباس للإمامة الأباضية سواء فى المشرق أو المغرب والتى عجلت بسقوط الإمامة الرستمية بتيهرت فانتكس المذهب وقلّ أتباعه فى كثير من المناطق والدول كما سبق الإشارة إليه وذلك بسبب المعارضة المستمرة للأباضية لنظام الحكم الأموى والعباسى.

ثانياً: الصراع الدائم على الإمامة سواء من داخل حملة العلم وكبار الأئمة فى المذهب أو من جانب بعض شيوخ القبائل الطامعين فى الزعامة والإمامة.

ثالثاً: الميل إلى الترف خاصة فى أحوال الاستقرار واستمرار الأمن وإعلان إمامة الظهور ومثاله تلك الحياة الرغدة التى سيطرت على سلوك أئمة الدولة الرستمية فقتلت فيهم القيم الخلقية المثالية، ومع ذلك تذكر المصادر الأباضية قيام هؤلاء الأئمة بدورهم العلمى فى التأليف فقد ألف الإمام عبد الرحمن بن رستم تفسيراً للقرآن، كما ألف أبو اليقظان حفيده فى مسائل الاستطاعة والقدر وغيرها. بالإضافة إلى العديد من الفتاوى التى نسبت إلى أئمة الدولة الرستمية عبد الرحمن وابنه عبد الوهاب وابنه أفلح.

رابعاً: كثرة الحروب والثورات المضادة للإمامة الأباضية سواء فى المشرق أو فى المغرب العربى. فعند نهاية القرن الثالث الهجرى ضرب الأباضية ضربات مريرة منذ واقعة مانو عام ٢٨٣هـ، وحتى سقوط الدولة الرستمية عام ٢٩٦هـ. وكذلك فى القرن الرابع الهجرى عندما حاولوا استرجاع إمامة الظهور بثورة أبى القاسم الحامى عام ٣٥٨هـ، وثورة أبى خزر عام ٣٨٠هـ. فلما انهزمت جيوش الأباضية تحولوا إلى إمامة الكتمان فى القرن الخامس الهجرى مع الشيخ أبى عبد الله محمد بن بكرتـ ٤٤٠هـ.

خامساً: ضياع الكثير من الكتب والتآليف الأباضية بسبب الملاحقات السياسية والخلافات المذهبية ومضايقات الحكم الأموى والعباسى

حيث أحرقت الكثير من المكتبات الأباضية، وما تبقى من هذه الكتب لازال مجهولاً ومحفوظاً لدى الأفراد مخطوطاً مظنة الخوف من الضياع والتعصب المذهبى الانغلاقى، كما أن الكتب الأباضية لا يزال نشرها مقصوراً على الجهود الذاتية أو بعض المؤسسات الثقافية فى سلطنة عمان والجزائر وتونس.[1]

سادساً: إصابة أئمة الدولة الرستمية بالضعف والوهن نتيجة نفس الأسباب التى سبق ذكرها وغيرها من الأسباب، والتى جمعها قشار بلحاج فى كتابه تاريخ المذهب الأباضى فقال: أصيبت الإمامة الرستمية بالهرم والضعف نتيجة الفتن والثورات، وضعف الوازع الدينى لدى العديد من الولاة والأئمة من العائلة الرستمية، فأصبح حب الملك والتسلط هو المقصود بعد أن كان المقصود هو إقامة حدود الله ونشر العلم والدين الصحيح، بالإضافة إلى كثرة المعارك والحروب نتيجة الاختلاف الفكرى والصراع القبلى والمذهبى.

ومثال ذلك عنده إصابة أهل جبل نفوسه بالضعف والوهن خاصة بعد موقعة مانو عام ٢٨٣هـ لأن جبل نفوسه كان الحصن الحصين للدولة الرستمية وفيه قالوا: إنما قام هذا الدين أى المذهب بسيوف نفوسه وأموال مزاته، وقصة ذلك أن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب عزم على غزو تيهرت وأصر على المرور بجبل نفوسه ولما سمع أهل الجبل ذلك عزموا على منعه خوفاً من تسلطه ونزوعه للإمامة العظمى، وكان عامل الإمام أفلح بن العباس مع بعض المشايخ قد كرهوا اعتراضه ورغم ذلك استعد جيش نفوسه لقتال إبراهيم بن الأغلب والتقى الجيشان قرب قصر قديم يسمى "مانو" وتقاتلوا قتالاً شديداً انتهى بهزيمة أهل نفوسه وقد خسروا من رجالهم الأشداء نحو اثنى عشر ألفاً منهم أربعمائة عالم فكان ذلك خسارة فادحة أدت إلى الضعف والانكسار وكان ذلك حوالى ٢٨٣هـ. ويشير قشار بلحاج إلى دور التسلط العسكرى وروح الانتقام فى انحسار

---

[1] - على يحيى معمر: الأباضية مذهب إسلامى معتدل. ١٩٨٨، صـ ١٠-١٢

الإمامة الأباضية بقوله: ولما تسلط الحجانى على تيهرت أحرق مكتبتها المسماة بالمعصومة وكان بها من نفائس العلم والمعرفة، كما خرب عمرانها حتى انصرف الناس عنها.

وكان الإمام يعقوب بن أفلح قد سار إلى وارجلان ونزل بسدراتة على أبى صالح جفون بن يمريان فطلبوا منه أن يبايعوه إماماً فقال قولته الشهيرة: الجمل لا يستتر بالغنم . اذهبوا فقد زالت أيامكم مشيراً إلى الضعف والوهن الذى لا يستقيم معه أمر الإمامة وخاصة إمامة الظهور، واستمر فى وارجلان حتى وافته المنية عام ٣١٠هـ. ومن يومها أصبح الأباضية فى مرحلة الكتمان أى التقية والسرية، فتحكمهم وتسير أمورهم بعض المشايخ فى وارجلان وميزاب وجبل نفوسه الذى استمر دور المشايخ به حتى الحكم التركى بشمال إفريقية، وكان أشهر هؤلاء المشايخ أبو عبد الله محمد بن الخير وأبو القاسم اليفطورى، وكان أبو يعقوب قبل وفاته قد توجس من ابنه أبى سليمان فحذر منه أهل وارجلان لأنه كان يطالع كتب أهل الخلاف ويقول بفتاوى متناقضة لما ذهب إليه أئمة الأباضية.[1]

سابعاً: تفرق الإمامة الأباضية وانقسام الأئمة: لقد تفرعت عن الأباضية العديد من الفرق نتيجة تعدد الآراء واختلاف الزعماء حول الإمامة والتقية وبعض الأصول السياسية والاعتقادية، وقد نشأت هذه الفرق عن انشقاق بعض أئمة المذهب حول وجوب إمامة الأفضل وجواز إمامة المفضول، وهذه الفرق هى النكارية والنفاثية والخلفية والحسينية والعمرية والسكاكية والفرثية، كما ينكر الأباضية بعض الفرق التى انتسبت إليها اسماً ولم تنتسب إليها فعلاً ولم تلتزم بالأصول الأباضية مثل فرقة اليزيدية والحارثية والحفصية. وهى كالتالى:

---

[1] - قشار بلحاج: تاريخ المذهب الأباضى. صـ٤٦-٤٩

١. **فرقة النكارية**: تزعمها أبو قدامة يزيد بن فندين الذى كان على المذهب الأباضى وأحد علمائه زمن الدولة الرستمية بالمغرب العربى وكان يطمع فى الإمامة العامة بعد وفاة الإمام عبد الرحمن بن رستم. وقد ظهرت بوادر الانشقاق عقب مبايعة الإمام عبد الوهاب بن رستم ليخلف أباه الإمام عبد الرحمن بن رستم إمام الأباضية بالمغرب ومؤسس الدولة الرستمية منذ عام ١٧٥هـ. فعندما أحس الإمام عبد الرحمن بقرب الأجل دعى إلى ترك الأمر شورى بين سبعة من علماء الأباضية وزعمائهم من بينهم ابنه عبد الوهاب وابن فندين الذى كان يرى أنه الأفضل والأحق بالإمامة لكفائته وعلمه.

وعند إجماع العلماء على إمامة عبد الوهاب ليخلف أبيه فى إمامة الدعوة بالمغرب العربى، أنكر ابن فندين إمامة عبد الوهاب بعد مبايعته له، ووضع شرطين لصحة بيعته أولهما: أن لا يقضى عبد الوهاب أمراً دون مشورة من حملة العلم أو هيئة مخصوصة للمشورة. والثانى: أنه لا تجوز الخلافة للمفضول مع وجود الأفضل، وفى الأمة من هو أفضل من عبد الوهاب، يقصد نفسه. بعد ذلك أشاع ابن فندين أن عبد الوهاب لم ينفذ شرط المشاورة وبالتالى لا تحق إمامته، وأعلن ابن فندين إنكار إمامة عبد الوهاب مع جماعة من أصحابه فسموا بالنكارية.

وكان على رأسهم أبو قدامة ابن فندين وعبد الله بن يزيد الفزارى وعبد الله بن عبد العزيز وعمرو بن محمد السدوسى وشعيب بن المعرف وحاتم بن منصور. وأطلق الأباضية على هؤلاء النكارية عدة أسماء منها: النكاث لأنهم نكثوا البيعة بغير حق، النجوية لأنهم كانوا يتناجون ويجتمعون على الإثم والعدوان، الشغبية لأنهم أدخلوا بذلك شغباً فى الدعوة الأباضية، والملحدة لأنهم ألحدوا فى الأسماء والأحكام.

ورغم انشقاق ابن فندين وجماعته وغريب الآراء التى رددها وإنكار بيعة عبد الوهاب وإفتائه بأن إمامته باطلة واعتزاله المذهب

وتكوين فرقة خاصة به، فقد بعث علماء الأباضية بالمغرب بكتاب لأخذ مشورة علماء إباضية المشرق فى البصرة وعمان فى وقائع هذا الانشقاق ومدى صحة بيعة عبد الوهاب وجاء رد علماء الأباضية فى المشرق يفيد صحة الإمامة لابن رستم وأن الشرط الذى طالب به ابن فندين باطل وأنه يجوز تولية رجل من المسلمين (الأباضية) إذا كان فيهم من هو أفضل منه أو أفقه منه.

ولم يوافق ابن فندين على هذا الرأى وأثارها حرباً ضد عبد الوهاب بن رستم واعتزل المذهب وكون فرقة خاصة به ووضع لها مبادئ وأصول، وقد انضم إليه شعيب بن المعروف الذى رأى ضرورة الخروج على معسكر السلطان فاتخذ من العنف وسيلة، فهاجموا مقر الإمامة على حين غرة وكان الإمام غائباً، واستمر القتال بينهم وبين أهل العاصمة حتى قتل ابن فندين نفسه وفر شعيب إلى ليبيا حيث استمر فى دعوته وإنكاره وأضاف إلى مبادئ ابن فندين بعض الآراء المعارضة لآراء أبى عبيدة الأباضى فى أصل المذهب.

ومن آراء فرقة النكارية المخالفة للأصول الأباضية :

١. أن الإمامة لا تصح إذا خالف الإمام شرطاً من شروط البيعة.
٢. عدم جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل أو الأفضل.
٣. أن الإمامة غير مفترضة أى لا تجب بالرأى والمشورة.
٤. التقية جائزة فى بعض المحرمات ومنها شرب الخمر.
٥. أن ولاية الله وعداوته تنقلب حسب الأحوال.
٦. أنه لا تقوم الحجة فيما يسع حتى يجتمع المسلمون بأسرهم .
٧. أن أسماء الله مخلوقة.
٨. أن صلاة الجمعة غير جائزة وراء الأئمة الجورة.
٩. أن الانتقال من الولاية إلى الوقوف جائز.
١٠. أن الله لا يأمر بالنوافل، وأنه يلزمنا العمل بالفرائض ولا يلزمنا العلم بها ولا من معرفتها شئ.
١١. أن الحرام المجهول حلال.

١٢. أن المشرك يدعى إلى جملة التوحيد وإلى البراءة من أحداث أهل الأهواء من أهل القبلة.

٢. **فرقة النفاثية**: تزعمها فرح بن نصر النفاثى وقيل أنه فرحان بن نصر النفوس المعروف بنفاث نسبة إلى قرية نفاثة القريبة من جبل نفوسه بليبيا. كان من أئمة العلم الذين حصلوا درجة عاليه فى العلم والتقوى على أيدى علماء الأباضية الأوائل أيام الدولة الرستمية فى تاهرت وكان دائم الطمع فى منصب الإمامة والولاية على جبل نفوسه. ولما صرفت عنه الولاية لغيره من العلماء سخط على الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن رستم إمام الأباضية بالمغرب، وأخذ ينتقده ويطعن فى مجالسه ويثير الأقاويل والشائعات ضده ويردد أنه الأحق بالإمامة الأباضية، فأرسل إليه الإمام أفلح يأمره بالكف عما يقول والتوبة منه دون جدوى. وسميت جماعته بالنفاثية لأن جماعته ينفثون الانتقادات والشائعات ضد الدولة الرستمية علناً متحصنين بمساندة أمراء الدولة العباسية.

قدم النفاث العديد من الآراء المخالفة للمذهب الأباضى وللسنة النبوية منها:

١. أن النفاث هو الدهر.
٢. أن خطبة الجمعة ليست على الوجوب وأنها بدعة.
٣. أن ابن الأخ الشقيق أحق بالميراث من الأخ للابن.
٤. أن مهمة الإمام مراقبة العمال وجمع الحقوق الشرعية وتلبية مطالب بيت مال المسلمين من الرعايا.
٥- أن الإمام إذا لم يمنع رعيته من جور الجورة وظلمهم لا يحل له أن يأخذ الحقوق التى جعل الله عليهم لضعفه عنهم. وقد انتهت النفاثية بمجرد موت زعيمها وبسبب غلو آرائها وخروجها على الإجماع الشرعى، واندثرت مع النكارية.

٣. **فرقة الخلفية**: تزعمها خلف بن السمح بن أبى الخطاب المعافرى الذى كان جده الإمام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى،

من أوائل حملة العلم فى الفكر الأباضى وإمام الأباضية على جبل نفوسه وما يجاوره من مناطق طرابلس وقابس وتونس، وكان ذلك أيام الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم. فلما مات الإمام السمح قام جماعة من الناس وبايعوا ابنه خلفاً بغير إذن الإمام الأباضى عبد الوهاب الذى أمر بعزل خلف بن السمح والذى رفض الإذعان لقرار عزله فقصد إلى جبل نفوسه يتحصن به ويجمع الأتباع ولما قويت شوكته أعلن استقلال الإمامة فى ليبيا عن إمامة الجزائر، وتابعه فى هذا الرأى جمع غفير واشتعلت الحرب بين خلف وعبد الوهاب، ثم بينه وبين ابنه أفلح بن عبد الوهاب حتى استطاع العباس بن أيوب أن يقضى على فلول جيش خلف قضاء تاماً، وبموت خلف ابن السمح انتهت جماعته التى كانت تنادى باستقلال الإمامة الليبية عن الجزائرية، ولم يكن للخلفية آراء خاصة فى العقيدة والأصول.

٤. **فرقة الحسينية**: من أوائل الفرق التى تشابهت فى الرأى مع الأباضية ولذلك نسبت إليها، تزعم هذه الفرقة أبو زياد أحمد بن الحسين الطرابلس ابتداء من القرن الثالث الهجرى، وكان أبو زياد عالماً بالأصول والفروع وقد اتفقت أراؤه مع آراء فرقة العميرية التى تزعمها عيسى بن عمير: وبعد اتفاقهما افترقا فى العديد من الآراء فحسبت احداهما على الأباضية ونسبت الأخرى إلى المعتزلة. وقالت فرقة الحسينية بآراء مخالفة للأباضية والإسلام وهذه الآراء تتشابه مع آراء النكارية، حتى أنها أوجبت محاربة الأباضية ومن غريب آراء الحسينية:

١. أنه يسع الجهل بمحمد (صلى الله عليه وسلم).
٢. أنه لا يشرك من أنكر سوى الله من نبى أو كتاب أومعاد أو جنة أونار.
٣. أن المتأولين مخطئون وهم من أفراق الأمة مشركون.
٤. أن الحب والرضا والولاية والعداوة والبغض والسخط من أفعال الله وليست بصفات له.
٥. أن الحرام المجهول يعاقب عليه.

٦. لا يجوز أن يبعث الله رسولاً إلا بعلامة (رسالة أو معجزة) يتميز بها عن غيره ولا يكون له حجة إلا بها.

٥. **فرقة السكاكية**: أتباع عبد الله السكاك من منطقة لواته، كان إماماً بارزاً في العلم بالأصول إلى جانب مهارته وتجارته في صياغة الذهب. فأصبح جامعاً للعلم والمال وحب الدنيا والظهور فجذب بعلمه وماله الأتباع، ورددوا آراء مخالفة للمذهب وأصوله بل وإنكار السنة والإجماع والقياس، فحكم عليه وعلى أتباعه بالشرك، ومن غريب آرائه:

١. أن الدين كله من القرآن ولا اعتبار بالسنة.
٢. أن صلاة الجمعة والخطبة والآذان من البدع.
٣. أنه لا تجوز الصلاة إلا بما عرف تفسيره من القرآن.

وتصدى علماء الأباضية له ولجماعته وحكموا عليهم بالشرك والنفاق وانتهت جماعته بموته.

٦. **فرقة الفرثية**: تزعمها أبو سليمان يعقوب بن أفلح من وارجلان تتلمذ على علماء الأباضية بالمغرب العربي، وكان محباً للظهور وكثرة الفتيا، حتى أنه أفتى بآراء عديدة مخالفة للمذهب الأباضي خاصة في أحكام الفقه وتحريم ما ليس بمحرم، وأباح ما حرمه الإسلام. فتبرأ منه الأباضية ولكن أبا سليمان كان يعتبر أراؤه من باب الاجتهاد والفتيا رغم غرابتها وخروجها عن أصول الدين والمذهب ومن هذه الآراء:

الافتاء بنجاسة عرق الجنب والحائض، وتحريم دم العروق ولو بعد غسل المذبح، وتحريم أكل الجنين وغيرها. وكانت الفرثية من الفرق العديدة التي انتسبت إلى الإسلام وإلى الأباضية وليست منهما في شئ.

٧. **فرقة الحفصية**: تزعمها حفص بن أبي المقدام، وهو إمام الحفصية من الفرق الأباضية، ردد حفص العديد من آراء الخوارج في حقيقة الإيمان والكفر، ومن آرائه:

١. ضرورة إنكار الخلافة الراشدة لعثمان وعلى.
٢. أن علياً هو الحيران الذى جاء ذكره فى القرآن فى قوله تعالى: "كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران"[١]، وأن أصحابه الذين يدعونه إلى الهدى هم أهل النهروان من الحكمة.
٣. أن علياً هو الذى أنزل الله فيه: "ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا"[٢].
٤. أن عبد الرحمن بن ملجم قاتل على هو الذى أنزل الله فيه: "ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله"[٣].
٥. أن بين الشرك والإيمان معرفة الله وحده، فمن عرف الله سبحانه ثم كفر بما سواه من رسول أو من جنة أو نار، أو عمل بجميع الخبائث والكبائر فهو كافر برئ من الشرك، وكذلك من اشتغل بسائر المحرمات من طعام أو شراب فهو كافر برئ من الشرك.
٦. من جهل الله سبحانه وأنكره فهو المشرك بحق.

٨. **فرقة اليزيدية**: هى من فرق الخوارج الغالية وأكثرها غلواً وخروجاً على الإسلام، تزعمها يزيد بن أنيسه، وتنسبه بعض المصادر إلى الأباضية لأنه يردد بعض الآراء المشابهة فى الإمامة والتقية والولاية والبراءة، بالإضافة إلى أنه يتولى المحكمة الأول من الأباضية. هذا إلى جانب تأثر يزيد بغلو الآراء الفارسية القديمة والمعتقدات البعيدة عن الإسلام، وعن الأباضية مثل: أن الله سيبعث رسولاً من العجم وينزل معه كتاب جملة واحدة. وأن ملته ستكون الصابئة، وقد تبرأ الأباضية من اليزيدية ووصفوهم بأنهم أكفر الخوارج.

٩. **فرقة الحارثية**: تزعمها الحارث بن يزيد الأباضى الذى خرج عن أصول المذهب بأقواله فى الإيمان والقدر، وكان الحارث أحد التلاميذ الذين طردهم الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة من

---

[١] - الأنعام : ٧١
[٢] - البقرة : ٢٠٧
[٣] - البقرة : ٢٠٤

مجالس الأباضية فى البصرة، بسبب إصرار الحارث على أقوال المعتزلة فى القدر ومخالفته سائر علماء الأباضية. فهو يقول: أن الاستطاعة قبل الفعل وأن الإنسان خالق أفعال نفسه مع أن الأباضية ترى أن الله خالق أفعال العباد وأن الاستطاعة مع الفعل. كما يخالفهم فى الولاية والبراءة وقول الحارثية بطاعة لا يراد بها الله تعالى وهى الولاية وهو رأى المعتزلة أى أن الإنسان قد يكون مطيعاً لله إذا فعل شيئاً أمر الله به وإن لم يقصد الله بذلك الفعل ولا أراده به.[1]

ثامناً: التشدد فى تطبيق الأحكام الفقهية المخالفة فى بعض مظاهرها لأحكام باقى الفرق والمذاهب، وعدم التقريب بينها دون تعليل أو تفسير، مع التمسك بمرجعية فقهية واحدة هى مسند الإمام الربيع بن حبيب دون سواه، كذلك أقوال الأئمة والفقهاء الأوائل دون غيرهم.

تاسعاً: التمسك بموقف الأباضية الأوائل من الخلافة الراشدة عموماً وموقفهم من خلافة عثمان وعلى على وجه الخصوص، بالإضافة إلى موقف معاوية بن أبى سفيان، وهو موقف شبيه بموقف الخوارج من التحكيم والمحكمة الأول، والذى وضع الأباضية فى جانب الخوارج وفى مواجهة باقى الفرق والمذاهب وفى مقدمتها السنة والشيعة والأشعرية وأصحاب الاتجاهات السلفية قديماً وحديثاً.

عاشراً: الفصل بين المبادئ والأصول السياسية والاعتقادية وخاصة عند التطبيق، وهو ما ظهر واضحاً عند استعراض أحوال إمامة العلم والإمامة الأباضية الأولى والثانية، سواء تلك التى أعلنت باليمن وحضرموت أو تلك التى قامت بالشمال الإفريقى فى ليبيا والجزائر

---

[1] - راجع وصف هذه الفرق وأصولها فى :
* أبو الحسن الأشعرى: مقالات الإسلاميين. جـ١، صـ١٨٩-٢٠٥
* أبو العباس الدرجينى: طبقات المشايخ بالمغرب. الجزائر ١٩٧٤، جـ١، صـ٥٠-٥٤
* عامر النجار: الأباضية ومدى صلتها بالخوارج. دار المعارف ١٩٩٣، ٩٦-١١٤
* عبد القاهر البغدادى: الفرق بين الفرق.صـ ١٠٥-١١٥
* على يحيى معمر: الأباضية مذهب إسلامى معتدل. صـ ٤٠-٤٨

أيام الدولة الرستمية، وعدم الالتزام التام بمبدأ التقية خلال المراحل الأربعة التى تمر بها الإمامة الأباضية وهى: الكتمان والدفاع والشراة والظهور، والإصرار على استبعاد مبدأ التقية تماماً فى وقت إمامة الظهور.

ولا شك أن مراجعة أسباب انحسار وضعف المذهب الأباضى من الباحثين المعاصرين والمهتمين بقضايا علم الكلام سوف يؤدى إلى وعى هؤلاء بالأسباب الحقيقية وراء الاختلاف المذهبى بين العقائد والمذاهب الكلامية المتعارضة، كما يؤدى إلى تصحيح بعض الأخطاء التى وقع فيها بعض هؤلاء الذين اهتموا بالفكر الأباضى فى السنوات الأخيرة ولم يلاحظوا الاختلافات الجوهرية بين أصول ومبادئ الفكر الأباضى وبين باقى الفرق والمذاهب وفى مقدمتها الخوارج. هذا بالإضافة إلى العديد من الحقائق والمعلومات التى قدمتها هذه الدراسة فى إطار مبدأ التقريب بين المذاهب وظهور ما يسمى بعلم الكلام المعاصر.

ولقد كشفت هذه الدراسة عن الكثير من الحقائق الغائبة حول نشأة المذهب الأباضى وأسباب الاختلاف والتعارض بين المذاهب والفرق الكلامية والقضايا الفكرية التى شغلت بال رجال الفكر والدين على مدى التاريخ العربى وفى مقدمتها قضية الإمامة والتقية لما لها من أثر كبير فى التحولات الفكرية التى عاصرت نشأة علم الكلام والفقه الإسلامى منذ نشأته وحتى اليوم.

المصادر والمراجع

١. أحمد أمين: فجر الإسلام. دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٧٩.

٢. أحمد حجازى السقا: الخوارج الحروريون. مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٠.

٣. أحمد درويش: جابر بن زيد (حياة من أجل العلم). سلسلة أعلام العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١.

٤. أحمد مهنى مصلح وآخرون: هذه مبادؤنا. رد على كتاب صابر طعيمة: الأباضية عقيدة ومذهب. مطابع النهضة، سلطنة عمان، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٥. الأشعرى (أبو الحسن على بن إسماعيل تـ ٣٣٠هـ): مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين. دار النهضة المصرية، ط٢، ١٣٨٩-١٩٦٩.

٦. أطفيش (قطب الأئمة محمد بن يوسف المصعبى أطفيش ١٨١٨-١٩١٤): شرح كتاب النيل وشفاء العليل. دار الفتح، بيروت ١٩٧٢.

٧. أطفيش: الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص. المطبعة السلفية، القاهرة طـ البعث. قسنطينة ١٩٨٠.

٨. أطفيش: شرح عقيدة التوحيد. سلطنة عمان. وزارة التراث القومى ١٩٨٣.

٩. البارونى (الشيخ أبو الربيع سليمان بن عبد الله البارونى النفوسى ١٣٥٩-١٩٤٠): مختصر تاريخ الأباضية. ط٢، غرداية. الجزائر ١٩٨٠.

١٠. البارونى: الأزهار الرياضية فى أئمة وملوك الأباضية. المطبعة البارونية، القاهرة ١٣٢٥هـ.

١١. بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية. دراسة فى الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية. الجزائر ١٩٨٥.

١٢. بدر الدين هلال حمود اليحمدى: الأدلة المرضية فى دحض ما نسب إلى الأباضية. مطابع النهضة، سلطنة عمان ١٩٨٨.

١٣. البرادى (أبو القاسم بن إبراهيم): الجواهر المنتقاة فى إتمام ما أخل به كتاب الطبقات للدرجينى. القاهرة ١٨٨٥.

١٤. ابن بركة (أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن بركة العمانى): الجامع فى الفقه. تحقيق وتعليق عيسى البارونى، ١٩٧١.

١٥. البغدادى (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد ت ٤٢٩هـ): الفرق بين الفرق. تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، مكتبة صبيح القاهرة. وطبعة أخرى دار المعرفة بيروت. وطبعة تحقيق لجنة إحياء التراث العربى. دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٢.

١٦. بكير بن سعيد أعوشت: دراسات إسلامية فى الأصول الأباضية. مطبعة البعث، الجزائر ١٩٨٢.
١٧. بكير بن سعيد أعوشت: قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيش. حياته وآثاره الفكرية. مكتبة الضامرى، سلطنة عمان، ومكتبة الهلال، الجزائر ١٩٨٩.
١٨. بلحاج (محمد الشيخ بلحاج): وإن هذه أمتكم أمة واحدة على الحق والاستقامة. سلطنة عمان.
١٩. البيسوى (أبو الحسن على بن محمد المعروف بأبى الحسن العمانى): سيرة أبى الحسن فى الإمامة. ضمن سيرة أهل عمان، أربعة أجزاء مخطوط. ولاية غرداية، الجزائر.
٢٠. التعاريتى (سعيد التعاريتى المعروف بابن تعاريت الوهبى الجربى ١٣٥٥-١٩٣٦): المسلك المحمود فى معرفة الردود. تونس ١٣٢١هـ.
٢١. التلاتى (عمر بن رمضان التلاتى الجربى ١١٨٧-١٧٧٣): نخبة المتين من أصول تبغورين فيما اتفقت عليه أئمة الحق فى الأصول. طـ القاهرة.
٢٢. الثمينى (عبد العزيز بن إبراهيم الثمينى المصعبى): كتاب معالم الدين. سلطنة عمان، وزارة التراث القومى والثقافة. جزآن ١٤٠٧-١٩٨٦.

٢٣. الثمينى: شرح القصيدة النونية للشيخ أبى نصر فتح. المطبعة العربية، غرداية، الجزائر ١٩٨١.
٢٤. الجعبيرى (فرحات بن على): نظام العزابة عند الأباضية. المطبعة العصرية، تونس ١٩٧٥.
٢٥. الجعبيرى: البعد الحضارى للعقيدة الأباضية. مطبعة جامعة السلطان قابوس. سلطنة عمان ١٩٨٧.
٢٦. الجعبيرى: دور المدرسة الأباضية فى الفقه والحضارة الإسلامية. بحث مقدم لندوة الفقه الإسلامى، جامعة السلطان قابوس ١٩٨٨.
٢٧. جلال عبد الحميد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها. دار الكتاب اللبنانى، بيروت ١٩٧٥.
٢٨. الجناونى (يحيى بن أبى الخير أبو زكريا الجناونى): كتاب الوضع. تحقيق أبى إسحق أطفيش جـ١ مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة ١٩٦٢.
٢٩. جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية. الجزائر ١٩٨٤.
٣٠. الجوينى (أبو المعالى عبد الملك الجوينى المعروف بإمام الحرمين): الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد. تحقيق محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم عبد الحميد. مطبعة السعادة (مكتبة الخانجى) القاهرة ١٩٥٠.

٣١. الجيطالى (أبو طاهر إسماعيل بن موسى تـــ ٧٥٠هـــ - ١٣٥٠م): قواعد الإسلام. تعليق بكلى عبد الـــرحمن بـــن عمـــر، المطبعة العربية، غرداية - الجزائر ١٩٧٦.

٣٢. الجيطالى: قناطر الخيرات. مكتبة وهبة، القاهرة ١٣٨٥هـــ - ١٩٦٥م، طبعة سلطنة عمان. وزارة التراث القومى ١٤٠٢هـــ - ١٩٨٣م.

٣٣. الحارثى (سالم بن حمد بن ســـليمان بـــن حميـــد الحـــارثى العمانى): العقود الفضية فى أصول الأباضية. دار اليقظة العربية، سوريا ١٩٧٤. وطبعة وزارة التراث القومى والثقافة سلطنة عمان ١٩٨٣.

٣٤. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأنـــدلس. دار مطـــابع المستقبل، القاهرة ١٩٨١.

٣٥. أبو حفص عمر بن جميع: مقدمة التوحيد. وبها شرحان لأبى العباس الشماخى، وأبى سليمان التلاتى. طـــ٢، المطبعة العربيـــة. غرداية، الجزائر ١٩٧٣.

٣٦. خليفات (عوض محمد): نشأة الحركة الأباضية. سلطنة عمان ١٩٧٨.

٣٧. خليفات: الأصول التاريخية للفرق الأباضية. وزارة التـــراث القومى، سلطنة عمان ١٩٨٢.

٣٨. الخليلى (أحمد بن حمد الخليلى مفتى عام سلطنة عمان): جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل. مطبعة الألوان الحديثة، سلطنة عمان – مسقط ١٩٨٤.

٣٩. الخليلى: الحق الدامغ. مطابع النهضة، سلطنة عمان ١٤٠٩-١٩٨٩.

٤٠. الدرجينى (أبو العباس أحمد بن سعيد تـ ٦٧٠هـ): طبقات المشايخ بالمغرب جـ١. تحقيق إبراهيم طلاى. مطبعة البعث. قسنطينة – الجزائر ١٣٩٤- ١٩٧٤.

٤١. ديوز (محمد على تـ ١٩٨٠): تاريخ المغرب الكبير. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٣.

٤٢. ديوز: نهضة الجزائر الحديثة. وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية – الجزائر ١٩٦٥.

٤٣. الرازى (فخر الدين محمد بن عمر تـ ٦٠٦هـ): اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. النهضة المصرية ١٩٣٨.

٤٤. الرستاقى (خميس بن سعيد بن على بن مسعود الشقصى): منهج الطالبين وبلاغ الراغبين. تحقيق سالم بن حمود بن سليمان الحارثى. مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة.

٤٥. الرواحى (أبو مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحى تـ ١٩٢٠): نثار الجوهر فى علم الشرع الأزهر. مخطوط ، سلطنة عمان.

٤٦. أبو زكريا (يحيى بن أبى بكر): كتاب سير الأئمة وأخبارهم. تحقيق سيدة إسماعيل كاشف. دار المغرب الإسلامى، بيروت ١٩٨٢.

٤٧. أبو زهرة (محمد أحمد): تاريخ المذاهب الإسلامية. دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٧١، وطبعة أخرى ١٩٨٠.

٤٨. السالمى: (نور الدين أبو محمد عبد الله بن حميد ت ١٣٣٢هـ - ١٩٤١م): مشارق أنوار العقول. تصحيح وتعليق أحمد بن حمد الخليلى، وتحقيق عبد الرحمن عميرة. سلطنة عمان، ط١ ١٩٧٨، ط٢ ١٩٨٩.

٤٩. السالمى: اللمعة المرضية من أشعة الأباضية. وزارة التراث القومى، سلطنة عمان، ط٢ ١٩٨٣.

٥٠. السالمى: شرح طلعة الشمس. وزارة التراث القومى، سلطنة عمان ط٢ المطبعة الشرقية ومكتبتها ١٩٨٥.

٥١. السعدى (جميل بن خميس): قاموس الشريعة الحاوى طرقها الوسيعة. نشر وزارة التراث القومى والثقافة، سلطنة عمان ١٩٨٣.

٥٢. ابن سلام (المعروف بابن سلام الأباضى): الإسلام وتاريخه من وجهة نظر الأباضية. تحقيق شفارتز وسالم بن يعقوب. دار اقرأ ١٤٠٥ - ١٩٨٥.

٥٣. السيابى (سالم بن حمود بن شامس السيابى العمانى): أصدق المناهج فى تمييز الأباضية من الخوارج. تحقيق سيدة إسماعيل كاشف. مطابع سجل العرب ١٩٧٩. نشر وزارة التراث القومى والثقافة، سلطنة عمان.

٥٤. السيابى: إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء. تحقيق سيدة إسماعيل كاشف. مطابع سجل العرب ١٩٧٩.

٥٥. الشماخى (الإمام أبو العباس أحمد بدر الدين): السيِّر. مطبعة قسنطينة، الجزائر ١٣٠١هـ.

٥٦. الشماخى: مختصر العدل والإنصاف تصحيح يحيى بن سفيان ومحمد عبد الله. مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان.

٥٧. الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم تـ ٥٤٨هـ): الملل والنحل، وبهامشه كتاب الفصل لابن حزم. مطبعة السلام العالمية، القاهرة ١٩٥٦. وطبعة دار المشرق، بيروت ١٩٧٠، ودار المعرفة، بيروت ١٩٧٥.

٥٨. صالح باجية: الأباضية بالجريد فى العصور الإسلامية الأولى. دار بوسلامة للنشر تونس ١٣٩٦- ١٩٧٦.

٥٩. ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز. الجزائر ١٩٨٦.

٦٠. الصوافى (صالح بن أحمد): الإمام جابر بن زيد. نشر وزارة التراث القومى، سلطنة عمان ١٩٨١، وطبعة أخرى ١٩٨٣.

٦١. عامر النجار: الأباضية ومدى صلتها بالخوارج. دار المعارف، القاهرة ١٩٩٣.

٦٢. عبد الله بن مداد: سيرة العلامة المحقق عبد الله بن مداد. وزارة التراث القومى، سلطنة عمان ١٩٨٤.

٦٣. عبد المطلب (رفعت فوزى): الخلافة والخوارج فى المغرب العربى. القاهرة ١٩٧٣.

٦٤. عدون جهلان: الفكر السياسى عند الأباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش. ط٢ مكتبة الضامرى، سلطنة عمان ١٩٩١.

٦٥. العقيلى (محمد رشيد): الأباضية فى عمان وعلاقاتها مع الدولة العباسية فى عصرها الأول. وزارة التراث القومى والثقافة. سلطنة عمان ١٩٨٤.

٦٦. أبو عمار عبد الكافى الأباضى تـ ٥٧٠هـ: كتاب الموجز فى الكلام. حققه عمار الطالبى بعنوان آراء الخوارج الكلامية. الجزائر ١٩٧٨.

٦٧. عمر أبو النصر: الخوارج فى الإسلام. مكتبة المعارف، ط٢ بيروت ١٩٥٦.

٦٨. عمرو خليفة النامى: أجوبة ابن خلفون لأبى يعقوب يوسف خلفون المزاتى. دار الفتح، بيروت ١٩٧٤.

٦٩. عمرو خليفة النامى: تطور الفكر الأباضى. كمبردج ١٩٧١.

٧٠. أبو غانم الخراسانى: المدونة الكبرى. ترتيب محمد أطفيش، تقديم سالم بن حمد الحارثى. دار اليقظة العربية، بيروت ١٩٧٤. وطبعة أخرى نشر وزارة التراث القومى، سلطنة عمان ١٩٨٤.

٧١. الغرابى (على مصطفى): تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين. المكتبة الحسينية، القاهرة ١٩٤٨.

٧٢. الفرسطائى (أبو العباس أحمد بن بكر تـ ٥٠٤هـ): كتاب مسائل التوحيد مما لا يسع الناس جهله. مخطوط المكتبة البارونية، تونس.

٧٣. القاسمى (سلطان بن محمد القاسمى): تقسيم الإمبراطورية العمانية. مؤسسة البيان للصحافة والنشر، دبى ١٩٨٩.

٧٤. قشار بلحاج: تاريخ المذهب الأباضى، المسمى اللمعة المضيئة فى الأباضية. مكتبة الضامرى، سلطنة عمان ١٩٩٠.

٧٥. القلهاتى (محمد بن سعيد الأزدى): الكشف والبيان. شرح وتحقيق سيدة إسماعيل كاشف، مطابع سجل العرب، القاهرة. نشر سلطنة عمان ١٩٨٠.

٧٦. الكندى (سليمان بن محمد بن أحمد بن عبد الله الكندى تـ ١٣٣٧هـ): بداية الإمداد على غاية المراد فى نظم الاعتقاد. المطابع العالمية، سلطنة عمان ١٩٨٦.

٧٧. اللواتى (لوّاب بن سلام بن عمر اللواتى) : رسالة فى نشأة الأباضية وأحوالهم بالمغرب العربى. مخطوط. مكتبة سالم بن يعقوب جربة، تونس.

٧٨. محمد بن بابه الشيخ بلحاج: القرآن والسنة عند الأباضية. المطبعة العربية، غرداية – الجزائر ١٩٨٤.

٧٩. محمد جلال شرف. نشأة الفكر السياسى وتطوره فى الإسلام. دار النهضة، بيروت ١٩٨٢.

٨٠. محمد المبارك: نظام الإسلام، الحكم والدولة. دار الفكر، بيروت ١٩٨٠.

٨١. محمود إسماعيل عبد الرازق: الخوارج فى بلاد المغرب. الدار البيضاء، المغرب.

٨٢. محمود إسماعيل عبد الرازق: الحركات السرية فى الإسلام. رؤية عصرية. دار القلم، بيروت ١٩٨٣.

٨٣. معمر (على يحيى معمر ١٩١٥- ١٩٧٩): الأباضية فى موكب التاريخ. مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٦٤. طبعة أخرى دار الثقافة، بيروت ١٩٦٦.

٨٤. معمر: الأباضية بين الفرق الإسلامية. مكتبة وهبه ١٩٧٦، وطبعة الجزائر ١٩٨٧.

٨٥. معمر: الأباضية مذهب إسلامى معتدل. مطبعة الألوان الحديثة. ١٩٨٨.

٨٦. الملوشائى (تبوغرين بن عيسى الملشوطى): أصول الدين. تحقيق عمرو خليفة النامى، ونسخة أخرى نسخ عمر بن الحاج عمار الغرداوى ١١٨٢هـ.

٨٧. مهدى طالب هاشم: الحركة الأباضية فى المشرق العربى. القاهرة ١٩٨١. ودار الاتحاد العربي، بغداد ١٩٨١.

٨٨. المودودى (أبو الأعلى): نظرية الإسلام السياسية. دار الفكر، دمشق ١٣٨٨هـ.

٨٩. الميلى (مبارك بن محمد الهلالى الميلى): تاريخ الجزائر فى القديم والحديث. طبع بدران وشركاه، بيروت ١٩٦٣.

٩٠. ناصف (منصور على): التاج الجامع للأصول. دار الفكر العربى، بيروت ١٩٧٥.

٩١. الوارجلانى (أبو عمار عبد الكافى بن يعقوب، أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم تـ ٥٧٠هـ): العقيدة فى معرفة التوحيد والفرائض. تونس ١٩٨٢.

٩٢. الوارجلانى: العدل والإنصاف فى معرفة أصول الفقه والاختلاف. نشر وزارة التراث القومى – سلطنة عمان ١٩٨٤.

٩٣. الوارجلانى: الدليل لأهل العقول. المطبعة البارونية – القاهرة ١٣٠٦هـ.

٩٤. يحيى محمد بكوش. فقه الإمام جابر بن زيد. دار المغرب العربى. ١٤٠٧- ١٩٨٦.

٩٥. يحيى محمد بكوش: مدرسة الإمام جابر بن زيد وأثرها فى الفقه الإسلامى. سلطنة عمان ١٩٨٨.

٩٦. يحيى هويدى: تاريخ فلسفة الإسلام فى القارة الإفريقية.جـ١ – القاهرة ١٩٦٦.

٩٧. اليسجنى (ضياء الدين عبد العزيز الثمينى اليسجنى تـ ١٢٢٣هـ – ١٨٠٨م): معالم الدين فى الفلسفة وأصول الدين. نسخ ١١٨٤هـ.